

من روائع الأدب العالمي للناسئين

اللولوة

چون شتاينبك



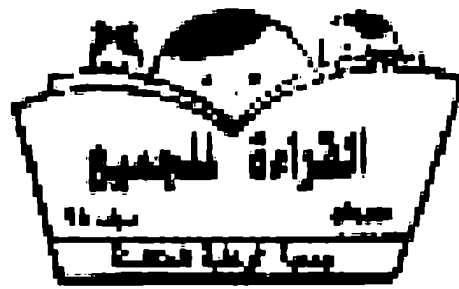
الزوجة

اللولؤة

تأليف: جون شتاينيك

ترجمة: محمد عبد الحميد جمال

مراجعة: مختار السويضي



مهرجان القراءة للجميع ٩٨
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(روائع الأدب العالمي للناشئين)

| | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| الجهات المشاركة: | الوزارة |
| جمعية الرعاية المتكاملة المركزية | تأليف: جون شتاينيك |
| وزارة الثقافة | ترجمة: محمد عبد الحميد جمال |
| وزارة الإعلام | مراجعة: مختار السويكي |
| وزارة التعليم | الإهداء: للطلبة جمال قطب |
| وزارة التنمية المحلية | الإشراف الفني: |
| المجلس الأعلى للثقافة والرياضة | للأستاذ محمود الهندي |
| التنفيذ: هيئة الكتاب | المشرف العام: |
| | د. سمير سرحان |

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية
وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضاري
المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ
للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر
الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضي
في مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د . سمير سرهان

هذه ترجمة لرواية :

THE PEARL

By : John Stienbek

١

٧

المؤلف

ولد جون شتاينبك في ساليانس بكاليفورنيا في عام ١٩٠٢ .
وبعد دراسته لتعلم في جامعة ستانفورد اشغل في مهن مختلفة : إذ
اشغل عاملاً ومسدلاً وخفيراً وجانياً لمحاصيل للفاكهة ومساها
تلا راضى على التولى .

وكانت أولى رواياته التي صدرت في عام ١٩٢٩ تحت عنوان
النجار من الذهب، تتحدث عن مورجان قرصان البحر، وأهم
مؤلفاته الروائية هو كتاب «عناقيد الغضب» وقد صدرت هذه
الرواية في عام ١٩٣٩ . ونعتبر أكثر كتبه انتشاراً وأحبها لدى قلوب
القراء .

وتدور أحداث هذه الرواية حول أسرة مهاجرة تسعى للحصول
على عمل في كاليفورنيا . وقد حصلت هذه الرواية على جائزة
هوليتزر . وكان لها تأثير عظيم على الناس، حتى أنهم عقدوا
مقارنة بينها وبين رواية «كوخ العم توم» .

ومن رواياته الأخرى الشهيرة: شرق عدن، رجال وفهران، يوم
القميخ الجميل، ضوضاء مصنع المعببات... وهناك أيضاً
مجموعاته القصصية القصيرة بالإضافة إلى خطابات شرق عدن.
وفي عام ١٩٦٢ حصل جون شاتينيك على جائزة نوبل في
الأدب. وتوفي في عام ١٩٦٨.

فى المدينة يحكون قصة اللؤلؤة العظيمة .. كيف
عثر عليها وكيف فقدت مرة أخرى .. فهم يتحدثون عن
كينو صباه الأسماك وعن زوجته جوانا .. وعن الطفل
كوبوتيتو .. ولأن هذه القصة قد حكيت مرات عديدة ،
لقد ضربت جذورها فى عقل كل انسان .. ومثلما هو
الحال بالنسبة لكافة القصص التى تُروى من جديد
وتتناقل وتجد لها مكانا فى قلوب الناس ، فلن يكون
هناك سوى الأشياء الحسنة والأشياء الرديئة .. الأشياء
السوداء والأشياء البيضاء .. الأشياء الخيرة والأشياء
الشريرة .. وليس هناك شيء وسط ولا تظليل فى أى
مكان .

وإذا كانت هذه القصة بمثابة حكاية رمزية ذات
مغزى أخلاقى فإن كل شخص قد يستخلص منها المعنى
الذى يريده لنفسه ، ويقرأ فيها حياته الخاصة به ..
وعلى أية حال فهم يقولون فى المدينة أن

الفصل الأول

استيقظ كيدو في الفترة الأخيرة من الظلام . كانت النجوم
مازالت تلمع .. وكان النهار قد ألقى بمسحة شاحبة من الضوء
على السماء من ناحية الشرق . وكانت الديكة قد بدأت تصيح لبعض
الوقت . وكانت الخنازير المبكرة قد بدأت بالفعل في التغليب الدروب
المستمر بين الأغصان وقطع الأخشاب تدرى ما إذا كان هناك أي
شيء يصلح لأن تتناوله كطعام .

وخارج المنزل الصغير من الحطب والأغصان والموجود في
أدغال أشجار الكمثرى ، سُفِّق سرب ضئيل من الطيور الصغيرة
ومزرب بأجنحته في الهواء . وفتحت عينها كيدو . فنظر أولاً إلى

المريع المصيبة الذى كان بمثابة الباب، ثم نظر إلى التصندوق
المعلق الذى ينام فيه كويوتينو، ثم استدار برأسه أخيراً نحو زوجته
جوانا التى كانت ترقد إلى جواره على الحصيرة وقد غطى الثال
الأزرق الخاص برأسها أنفها وتذييها وأسفل ظهرها..

كانت عينا جوانا مفتوحتين أيضاً.. ولا يذكر كيتو أنه انشغل
ذات يوم وشاهد عيني زوجته مغلقتين.. وأحدثت عيها السوداء وان
تجوما صغيرة منعكسة.. كانت تنظر إليه ملأماً كانت تنظر إليه
دائماً عندما يستيقظ.

وسمع كيتو الصوت الخفيض لأعواج الصياح وهى تنكسر على
الشاطئ.. كان صوتاً جميلاً للغاية.. فأغمض كيتو عينيه مرة
أخرى لكي يستمع للموسيقى التى يصدرها هذا الصوت رجب كان
هو وحده الذى يفعل هذا، وربما كان كل أهله قد فعلوا ذلك أيضاً..
إذا كان أهله وأقربيه من وأصغر الأغاني الثعظام ذات يوم لدرجة
أن كل شيء شاهدوه أو فكروا فيه أو سمعوه أصبح أغنية يصدون
بها.

كان ذلك منذ زمن بعيد للغاية ، وظلت الأغاني باقية .. كان
كثيرو يعرف تلك الأغنيات إلا أنه لم يتم بإضافة أغاني جديدة ،
وذلك لا يعنى أنه لم تكن هناك أغنيات شخصية . ففى رأس كثير
كانت تكرر أغنية معينة .. أغنية واضحة وصافية ورقيقة ، ولو
كان باستطاعته أن يتحدث عنها لكان قد أطلق عليها اسم الأغنية
العائلة اء .

كانت البطانية مرفوعة فوق أنفه لكي تحميه من الهواء الشديد
الرطوبة ، وثافت عيناه على حفيف بجوارء ، كانت جوارء تلهم
من نومها بدون أن تحدث أى صوت تقريبا ، وسارت على قدميها
العاريين إلى الصندوق المعلق الذى ينام فيه كويوتيتو . وانحنت
على الصندوق وقالت كلمة واحدة صغيرة .. كلمة تبث الهدوء
والطمأنينة فى قلب الطفل ، فتنظر كويوتيتو لأعلى للحظات قليلة ثم
أغلق عينيه واستسلم للنوم مرة أخرى .

ونهب جوارء إلى حفرة التيران وكشفت عن الفحم وراحت
تهوى عليه بمروحة لكي يزداد اتقادا ، وكسرت قطعة صغيرة من
أخشاب الأغصان ووضعتها على الفحم المشتعل .

وفي تلك الآونة نهض كينو من قرائشه ولف بطايتيه حول رأسه
وأثفه وكثفيه، ودفع بقدميه في الصندل للجلدى وخرج ليترقب
بزوغ الفجر.

وفي الخارج عند آياب جلس القرفصاء وألقى بخرق البطانية
حول ركبتيه، وشاهد بقعا من سحب الخليج وهي تتوهج عالجة في
الهواء، واقتربت منه عذرة وتشمعته وأبدت استحقاقها به وهملت
بعينيها الصقراوين البارزين، وخلفه تفجرت نيران جوانا بألسنة
الذهب، وألقت برماح الضوء عبر شقوق حائط المنزل المصنوع
من الأغصان وألقت بمربع صبروني متأرجح خارج آياب،
وعربت حشرة مجنحة لكي تغلر على النيران، وعطفت جاءت
أغذية العائلة من خنف كينو، وكان إيقاع أغنية العائلة هو حجر
الطعن، حيث كانت تطحن جوانا التمح لكي تعد قطائر الصباح!

وهبط الفجر بسرعة في تلك الآونة وملا الضياء صفحة
السماء، تفجر بالنيران عندما بزغت الشمس من الخليج، ونظر كينو
إلى أسفل لكي يحمى عذبه من وهج الشمس، وكان باستطاعته

سماع الطليطبة الخطيئة نكحك القمح بالعزول بالاصالة إلى شم
الرائحة القوية نكحك لدى وضعه في وعاء العلهي.

وكان النمل ملهمكا ومثغولا فوق الأرض. نمل أسود كبير له
أجسام لامعة.. ونمل صغير وسريع ومغير بانكراپ. وكان كينو
يرقب ذلك بكثير من التجرد الالهي البعيد عن التحيز، بينما كانت
نملة صغيرة تحاول في جنون الهرب من اتفخ الرملي الذي حفرته
لها حشرة من أكلات النمل..

واقتراب كلب نحيل ورعديد ولدى سماعه كلمة طيبة من كينو
جلس متكورا واضعا ذيله في براعة فوق قدميه ثم وضع ذقنه في
شيء من اللقمة على الكومة. كان كلبا أسود اللون وكانت له بقع
ذهبية صفراء في الأماكن التي كان يدين أن يكون بها حاجب
العين.. كان صباحا مثل كل صباح آخر ولكنه كان صباحا ممتازا
وبالغا جد الكمال إذا قورن بغيره من الأيام الأخرى.

سمع كينو صرير الحبس عندما قامت جوانا بإخراج كوينيلو
من صندوقه المعلق وتطلقته وراحت تأرجعه في شأنها في

اتسوطه جعلته قريبا من صدرها، وكان باستطاعة كبيره مشاهدة
هذه الأشياء بشون أن ينظر إليها، وراحت جواتنا تلغى فى رقة
وحان بأغنية قدومة ليس بها سوى ثلاث نغمات وتكرر. تحلوي
على تنوع لا نهائى للفاصلة الموسيقية. وكان هذا جزءا من أغنية
العائلة أيضا.. كانت أحيانا ترتفع إلى ترنيمة مؤمنة تمسك بالحق
قائلة: هذا أمن وأمان.. هذا دافىء.. هذا هو الكيان التكى!!

وعبر سور الأدغال كانت هناك منازل أخرى مصنوعة من
الأغصان. وكان الدخان يتصاعد من تلك المنازل أبيضاً، كما كانت
تصدر عنها أصوات اعداد طعام الأقطار.. إلا أن تلك الأصوات
كانت أغنيات أخرى.. وخلايزهم كانت ختاريز أخرى..
وزوجاتهم لم يكن جوالا.. كان كبير ممثلا بالقوة والعبوبة وكان
شعره الأسود متدللا فوق جبينه البنى اللون. كانت عيناها دافئتين
وشرستين فى توجهن وناصعتين، وكان شاربه رطباً وخشنا. وأنزله
بضائنه عن أنفه لأن الهواء الرطب قد تلاشى وسقط ضوء الشمس
الذهبي الأصفر فوق واجهة المنزل.

وبالتقريب من سور الأدغال انحنى نيكان واستعدا لدخول في
المبارزة والشجار بنشر الأجنحة ونكش الرجل فوق الرقبة ، وكان
من المتوقع أن يكون القتال ثقیل الحركة وخاليا من تمهارة
القتالية . فالذي كان لم يكونا من ديوك المصارعة . وراح كبلو
يرقبهما للحظات قصيرة ، وبعدئذ اتجهت عينا إلى أعلى نحو
حمامتين بريتين كانتا تحلقان في اتجاه التلال . . لقد استيقظ العالم
في تلك الأونة . . ونهض كبلو وذهب إلى منزله .

ولدى دخوله من الباب ، نهضت جوانة واقفة حيث كانت تجلس
بجوار حفرة الليران العنوضية . ثم أعادت ابنها كويونيتو إلى
سندوقه المعق ، وبعدئذ راحت تمشط شعرها الأسود وتصفره إلى
صفيرين . ثم ربطت طرفي الضفيرتين بشريط الأخضر اللون .
وجلس كبلو للفرصاء بجوار حفرة الليران ونحزج كعكة مصنوعة
من القمح وغمسها في الصلصلة ثم أكلها . وبعدئذ شرب قليلا من
«البكّة» (١) وكان هذا هو كل أفطاره . . بل هو الإفطار الوحيد الذي

(١) شراب مسكر يمنع في المكسيك من عمير العباد الأمريكى .

عرفه على مدى الأيام العديدة باستثناء أيام الأعياد، وباستثناء أحد الأعياد الدينية الثلاثة والتي تناول فيها بسكويتا كاد يقضى على حياته .

وعندما انتهى كبلو من تناول طعام اقطاره عادت جوانا إلى النيران وتناولت طعام اقطارها . كانوا قد تكلموا مرة واحدة ، فليست هناك حاجة للكلام والمساءلة ليست سوى عادة ، ونهد كينو نهيذة تجر عن الرصد والارتياح . . وكانت تلك النهيذة بمثابة محادثة !

كانت الشمس تلمع بالدفء وتشرق في أرجاء المنزل المصنوع من الأغصان وتتغذى من الشرق بالمنزل على هيئة خطوط طويلة . وسقط أحد الخطوط الضوئية على الصندوق المعلق الذي يرقد فيه كويوتيتو وعلى الحبال التي تمسك بالصندوق .

وحدثت حركة ضئيلة أدت إلى جذب عيونهما نحو الصندوق المعلق ، وتجمد كينو وجوانا في مكائيهما ، فأسفل الحبل المعلق من السفن والذي يمسك بالصندوق كان هناك عقرب يتحرك في بطنه ، وكان ذيله اللادغ ممثدا ورامه . وكان باستطاعته أن يضرب به لأعلى في حركة خاطفة في لمح البصر .

وراحت أنفاس كينو تحدث صغيراً وأزيزاً في فتحتي أنفه، ففتح
فمه لكي يوقف هذا الأزيز. ويحفظ زالت عنه النظرة الملجبة
بالدهشة البائغة وزال الخشب والتصلب عن جمده. كانت أغنية
جديدة قد طافت بداخل هذه، أغنية الشر.. موسيقى العدو..
موسيقى أي عدو للأسرة. ميلوديا متوحشة وسرية وخطيرة..
وصاحت إلى أسفل أغنية العائلة في صوت نائح مثنىء بالأنين.

وتحرك العقرب في رقة وهدوء هابطاً على الحبل لحو
الصدوق. قراحت جوارنا تترنم وتكرر في سرها وبصوت هامس
خافت كلمات سحرية قديمة للوقاية من مثل هذا الشر. وبالاضافة
إلى كل ذلك راحت تتنم يعيزة السلام لك يا مريم! وهي تضغط
على لسنانها.

ولكن كينو كان يمزج بالحرارة. كان جسده يلزق في هدوء
عبر الغرفة في صمت ونعومة وسلاسة. وكانت يده أمامه وراحتا
يديه إلى أسفل وعيناه تتابعان العقرب.. ونحت العقرب وفي داخل
الصدوق الصلوق كان كويوتينو مستغرقاً في الضحك وكان يمد
يديه إلى أعلى نحو العقرب. وأحسن العقرب بالخطر الذي سينامه

عندما أصبح قريباً للغاية من يدي كينو. فنزف وأرتفع ذيله
لأعلى فوق ظهره في انقباضات فجائية ضليلة ولعت الشوك
المقومة عند نهاية الذيل.

فوقف كينو في سكون تام. وتمكن من سماع جواتنا وهي تهمن
بالسحر القديم مرة أخرى، كما تمكن من سماع موسيقى نضر
الخامسة بالعدو. ولم يكن بمقدوره أن يتحرك قبل أن يتحرك
العقرب. ونحن العقرب بمصدر الموت الذي شرع في السعي إليه.
وزحفت يدي كينو للأمام في يده شديد وفي سلامة شديدة. واهتز
لأعلى الذيل المزود بالشوك. وفي تلك اللحظة هز كويو تيتو انفارق
في انضجك الهل فسقط العقرب.

فقفزت يدي كينو للأمام به إلا أنه أفلت من بين أصابعه ومقط
فوق كتف الطفل الرضيع واستقر على الكتف ولدغ، وعندئذ زمجر
كينو في غضب هائل وأمسك بالعقرب. أمسك به بين أصابعه
وزاح بفرك ويسحق إلى أن تحول العقرب إلى معجون في يديه. ثم
ألقى به على الأرض وأخذ يضربه بجماع يده بينما أخذ كويو تيتو
في الصراخ في هتافه بسبب الآلام. إلا أن كينو زاح بضرب

ويسحقّ العدوّ أن أصبح مجرد بقايا وأشلأ ومكنا رطبا في
الزهل. كان كينو مكثرا عن أنياه وكان الغضب يتوهج بين عينيه
وكانت أغتية العدو تزار في أنثيه.

وكن جوانا كانت قد أمسكت بالطفل الرضيع بين ذراعيها في
ذلك اللحظة وعثرت على الثقب الذي ظهر منه الأحمرار بالفعل
فوضعت شفتيها فوق الثقب وزاحت تمكس بقوة وتبصق، بينما
كرويو تندر بصرخ يكيا.

وبذا كينو يرفرف متأرجحا، كان عاجزا عن عمل أي شيء،
كان في حالة تجعله يعرف ويعرف أي اجراء أو عمل.

وتسببت صرخات الطفل الرضيع في مجيء لجزران.. فراحوا
يتدفقون من مذرتهم المصنوعة من الأعصان.. إذ حضر شقيق
كبلو الذي يسمى جوان توماس كما حضرت زوجته ابوتونيا
الممتلئة وأولادها الأربعة وتجمهروا جميعا عند الباب وبدوا
المدخل، بينما كان يوجد خلفهم أناس آخرون يحاولون النظر إلى
داخل المنزل وزحف ولد صغير بين السيفان ليتمكن من القاء

نظرة . وأولئك الذين كانوا في المقدمة نقلوا الخبر إلى أولئك الذين كانوا في الخلف . العنق . لقد لدغ العنق الطفل الرضيع .

وثوقفت حوانا عن امتصاص السم من الثقب للحظات . وكان الثقب الضليل قد اتسع قليلاً وأصبحت حوافه بيضاء نتيجة لعملية الامتصاص ، إلا أن الورم الأحمر امتد إلى رقعة واسعة حول الثقب وأصبح على شكل كومة متصلة . وكان كافة هؤلاء الناس يعرفون المعلومات الكافية عن العقارب . كانوا يعرفون أن الشخص الباق قد يتعرض للعرض الشديد إذا لدغه عنق ، ولكن الطفل الصغير يمكن أن يموت بكل سهولة بسبب السم . كانوا يدركون أن الورم يظهر في بادئ الأمر ويعقبه الحمى والتهيق في الحلق . وبعد ذلك تحدث تغيرات في المعدة ، وهذا يمكن أن يتعرض كويو تبتو للموت إذا كانت كمية كبيرة من السم قد تسربت إلى داخل جسده ، إلا أن الآلام اللاسعة الناجمة عن اللدغ كانت قد أخذت في الثلاثي حيث أصبحت صرخات كويو ليتو مجرد آتين خافت .

وكثيراً ما أيدى كينو بعشته الشديدة من الصلابة الحديدية التي تتميز بها زوجته الصبورة الرقيقة . إذ كانت سيدة مطيعة ومحترمة

ومرحة وسهورة، وباستطاعتها أن تقوس ظهرها أثناء انخفاض
يدون أن تطلق صرخة واحدة. كان باستطاعتها تحمل آلام التعب
والجوع على نحو أفضل من كيدو نات، فهي في زورق الكنوا،
كانت مثل رجل قوي، وما هي الآن قد فعلت شيئا مثيرا للدهشة
البالغة.

قالت: «الطبيب!»

واستطردت: «ذهب لأحضار الطبيب..» ومرت الكلمة
منتشرة بين الجيران الواقفين في تزاخم شديد بالفتاء للصغير الواقع
خلف السور المصنوع من الأغصان.. فراحوا يكرزون بين أنفسهم
عبارة «جوانا تريد طبيباً.. شيء عجيب أن يطلب طبيب.. بل هو
شيء بارز ينبغي أن يسجل في التاريخ.. فاحضروا الطبيب سيكون
أمراً بارزاً حقاً. إذ لم يسبق للطبيب أن جاء إلى مجموعة المنازل
المصنوعة من الأغصان على الإطلاق.. ولماذا يحضر؟.. فهو
لديه الكثير من الناس الأغنياء الذين يمكنه الاعتناء بصحتهم
والذين يسكنون بالمنازل المصنوعة من الأحجار والمكسوة بالحص
في المدينة!

وقال الناس الذين كانوا بالغناء: الآن يحضر الطبيب!.. وقتل
الناس الذين كانوا عند فتحة الباب: الآن يحضر الطبيب!..
فترسخت المفكرة في عقل كينو.

فقال كينو لزوجته جوانا: الآن يحضر الطبيب!..

فلحقت نحوه.. وكانت عيناها في نفس برود عيني اللبوة..
لقد كان هذا الطفل هو أول طفل أنجبته جوانا.. وتلك كان بمثابة
كل شيء تفريدا في حياتها.. وشاهد كينو تصميمها الشديد وتردد
صوت موسيقى العائلة في داخل رأسه في لحظة قوية.

وقالت جوانا: الآن، سوف نذهب إليه!..

وبدء واحدة عدت من لومداغ الشمال الأزرق الغامق الذي كان
يغطي رأسها بحيث جعلت إحدى طريقيه يثنى ليستوعب الطفل
المتوجع في أنين، مع حمل الطرف الآخر سارا لحماية عينيه من
ضوء الشمس.. وتنادى الناس الواقفون عند الباب للوراء ليدفعوا
للوراء الناس الآخرين الواقفين خلفهم لكي تتمكن جوانا من
الخروج من الباب. وتبعها كينو. وخرجا من البوابة إلى الممر
المليء بالأخايد والعقبات. لمار وراءها ليجران كلهم..

واهتم الجيران بهذا الأمر اهتماماً بالغاً. إذ ساروا في موكب بخطوات سريعة وخفيفة إلى قلب المدينة.. جوانا وكينو في المقدمة ووراءهما جوان توماس وزوجته أبولونيا التي كان كرشها الضخم يهتز مع إيقاع الخطوات للشطة المتحمسة. وبعيداً كان جميع الجيران مع أطفالهم يهرولون على الجانبين، وكانت الشمس الصفراء تلقى يظلالها السوداء أمامهم حتى أنهم كانوا يسرون فوق الظلال الخاصة بهم.

ووصلوا إلى المكان الذي انتهت عنده المذازن المصنوعة من الأغصان وبدأت مدينة الأحجار والجص.. مدينة الحوائط الخارجية القسنة الجافة والحوائط الداخلية ذات الهواء الرطب الشمس حيث تتحرك مياه قذبة وحيث تكسوا النباتات الحوائط بالألوان الأرجوانية والحمراء الطوبية والبنيضاء. ومن الحوائط السرية ترمى إلى سمعهم غناء الطيور المحبوسة في الأقفاص ورششة ماء النيريد فوق الأحجار التوحية الساخنة. وعبر الموكب الميدان المعبوس المبهر ومروا أمام الكنيسة.. وهذا أصبح عند السائرين بالموكب متزايداً. وعند أطراف الموكب كان المنضمون

الجند المسلحون للحاق بالموكب يتم إبلاغهم في هدوء بأن الطفل الصغير قد لدغه عقرب وأن أباه وأمه يحملانه إلى الطبيب.

ونظر المنضمون الجند وخاصة الشحاذون الذين جاءوا من أمام الكنيسة واثنيين كانوا خيرا في التحليل العالي بسرعة إلى أجهزة الزرقاء القديمة الخاصة بحيواتنا وشاهدوا النموذج في شالها وقبموا الشريط الأخضر الموجود في هفتاتها وقرأوا العصر الزمني لبطانية كبلو وعرفوا أن ثيابه قد غسئت ألف مرة فأدركوا أن كيتو وحيواتنا من الفقراء المعدمين واستمروا في سيرهم مع الموكب ليشهدوا بأنفسهم نوع الدراما التي يمكن أن تنشأ عن ذلك.

كان الشحاذون الأربعة الواقفون أمام الكنيسة يعرفون كل شيء في المدينة. كانوا يلحظون التعبيرات التي تظهر على وجوه الفتيات الشابات لدى دخولهن للكنيسة للاعتراف، وكانوا يشاهدوهن لدى خروجهن ويقراون على وجوههن نوع وطبيعة الخطيئة التي ارتكبت.. كانوا يعرفون كل فضيحة صغيرة وبعض الجرائم الكبرى للغاية. كانوا ينامون في مواقعهم تحت ظل الكنيسة لكي لا يتسلل أحد إلى داخل الكنيسة للعزاء بدون علمهم. بل وكانوا يعرفون

الطبيب ويعرفون جهله وفسوته وجشعه وحبه للأموال ويعرفون خطاياه. كما كانوا يعرفون هالات الاجهاض غير المدققة التي يقوم بها. والبنسات القليلة البنية اللون التي يصدق بها على الفقراء. وكانوا قد شاهدوا جثته وهي تدخل إلى الكنيسة.. ونظروا لانتهاه القديس المبكر ونظروا لأن الشغل لديهم أصبح بطيئاً، فإنهم ساروا وراء الموكب ليروا بأنفسهم ما سيفعله الطبيب الكسول مع طفل رضيع تغبر لدغه عقرب.

وأخيراً وصل الموكب المتعلق بسرعة إلى البوابة الضيقة الموجودة بسور منزل الطبيب. وكان باستطاعتهم سماع رشرشة لعياه وتغريد الطيور الحبيسة بالأقفال وأصوات المقصات الطويلة التي تكنس الأحجار للوحية الماخنة. كما كان باستطاعتهم شم رائحة قلى نعوم الخنزير الجيدة المبعثة من منزل الطبيب.

وتريد كثير من الحظاظ قليلة. فهذا الطبيب لم يكن من أهاليه. إذ كان هذا الطبيب يلتمس لعنصر بشرى قام على مدى أربعمائة عام تقريباً بضرب وسرقة واختطاف العنصر البشري الخاص بكينو وتجويعه حتى الموت.. بل وتجويعه أيضاً، حتى أن الحيوان الأهلى اقترب فى تواضع وتذلل من الباب.

وشعر كيتوي بالضعف والخوف والغضب في نفس الوقت وهي
 نفس المشاعر التي كان يحس بها دائما كلما اقترب من أحد أفراد
 هذا الجنس البشري. إذ كانت مشاعر الغضب والرجب تتصاعد في
 داخله في آن واحد.. وكان بمقدوره أن يقتل الطيب في سهولة
 ويسر. وعلى نحو أكثر سهولة من التحدث إليه. لأن كافة أعضاء
 العنصر البشري الخاص بالطيب كانوا يتحدثون مع أفراد العنصر
 البشري الخاص بكينو كما لو كانوا مجرد حيوانات. وعندما رفع
 كينو يده اليمنى نحو مطرقة الحلقة الحديدية بالهراية، تصاعد
 الغضب في داخل كيانه وراحت موسيقى العذرتخلق في خنق
 وتصرب وتذق في داخل أنثيه، وضغطت شفتاه في أحكام على
 أسنانه.. إلا أن يده اليسرى امتدت لترفع قبعته.. ودقت الحلقة
 الحديدية في عنق فوق الهراية. وخلع كينو قبعته ووقف منتظرا.
 وتوجع كويو تيلو في شيء من الأفين بين ذراعي جوارنا فتحدثت
 إليه في رفق وحنان.. وترأحم الموكب في مزيد من الاقتراب
 بهدف التمكن من الرؤية والسمع على نحو أفضل.

وبعد لحظات فتحت البوابة الصنخمة فتحة صغيرة لا تزيد عن
يوصات قليلة. ويمكن كينو من مشاهدة البرودة الخضراء الحقيقية
ونافذة صغيرة ترشش بالماء من خلال تلك الفتحة الصغيرة.
وكان الرجل الذي أطل برأسه من فتحة البوابة ونظر إليه هو أحد
أفراد الجنس البشري الخاص بكينو. فتحدث إليه كينو باللغة
القديمة. قال كينو: انظف انصغير، المولود الأول، قد أصيب
يالتسمم الناجم عن لدغة عقرب. واستطرد: «والأمر يستلزم
مهاره المعالج».

فأغلقت ابوابه قليلا ورفض التهام الكلام باللغة القديمة.
وقال: الحنة من فضلك. سأبلغ هذا الكلام بنفسى. وأخلق البوابة
وأوسدها بالمرلاج. وألفت الشمس تمويهة بانظلال العنقودية
المحتشدة للذاه على الحائط الأبيض فظهرت مثل رقعة سماء.

وفي غرفه جلس الطبيب معتدلا في سرير العالى.

كان مرثديا عيادته العريضة المنموجة باللون الأحمر والبنى
جاءته من باريس والى أصبحت الآن صديقة قليلا عند الصدر فى

حالة ففلها بالأزرار وفوق حجره كانت هناك صيدية من القمعة بها
إناء مليء بالميكولاته ففتى الطون وإناء من الخزف الصبلى له
نون قشرة البيضنة وكانت تلك الصيدية رفيعة للغاية حتى أنها بدت
غير معقولة ومضحكة عندما رفعها بيده الضخمة حيث رفعها
بأطراف أصبع الإبهام وأصبع السبابة، ونشر الأصابع الثلاثة
الأخرى بعيدا ليزيحها بعيدا عن الصيدية.. واستقرت عيناه على
قطع اللحم الصغيرة المنفخة وتدلى قمه فى استياء، إذ كان جسده
قد أصبح معتثا للغاية وبدونا. وأصبح صوته هقنا ومتحشرجا
بسبب الدهون التى تضغط على حلقه.

والى جواره فوق منضدة كانت هناك علبة للسجائر وقراص
نحاسى بفرع النداء، وكانت مقروشات الغرفة ثقيلة ومظلمة
وكثيرة، وكانت الصور المعلقة لها طابع دينى، بما فى ذلك الصورة
القوطجرافية الكبيرة الخفيفة الألوان والخاصة بزوجته الميتة والتى
أصبحت فى أحضان السماوات، إذا كانت القداسات الدينية التى
نقنت بناء على وصيحتها، وسرقت عليها من إرادات الصيعة التى
كانت تملكها، قد أنت بالنتيجة المرجوة.

لقد كان الطبيب ذات يوم ولفترة قصيرة جزءا من العالم العظيم وأصبحت كل فترات حياته التالية بمثابة ذكرى وتشوق إلى فرنسا.. كان يقول: تلك كانت حياة متحضرة!.. وكان يقصد بذلك أنه كان قادرا من خلال دخل مالي ضئيل الاحتفاظ بـرية بيت وتناول الوجبات في المطعم، وصيب الطبيب لنفسه فنجانه الثاني من الشيكولاته، وكسر بين أصابعه بسكويتا حلوة المذاق.. ورجع الخادم من البوابة إلى الباب المفتوح وظل واقفا في انتظار لكي يلحظه الطبيب.

فتساءل الطبيب: أمانا في الأمر؟..

إنه رجل هادئ ضئيل.. ومعه طفل رضيع.. وهو يقول أن الطفل قد لدغه عترب.

فوضع الطبيب فنجانه في شيء من الهدوء قبل أن يسمح للغضب بأن يتفجر في داخله.

ثم انفجر قائلا: «ليس لدى شيء أفضل من معالجة لدغات العشرات التي تحدث للهود القاهين؟.. أثنى طبيب بشري ولست طبيبا بيطريا!..»

فقال الخادم: «نعم ياسيدي باترون».

فتساعل الطبيب: «لديه أية نقود؟».. ثم استطرده: «يا تطبع
لا. فهم من الذين لا يكون لديهم أية نقود في ألى وقت على
الاطلاق. وأنا - أنا الوحيد فى العالم الذى يقتضى فى العمل بدون
مقابل ولقد سمعت أنا ذلك تماما. انهب إليه وحاول أن تعرف منه
ما إذا كانت لديه أية نقود؟».

وعند البوابة فتح الخادم الباب فتحة ضيقة وأتى برأسه من
فتحة الباب على الجماهير المحتشدة المنتظرة وفى هذه المرة
تكلم الخادم باللغة القديمة:

«أدبك نقود تدفعها ثمنًا للعلاج؟».

وهنا وضع كبوتو يده فى مكان سرى متوارى فى مساحة ما
تحت بطانيته. واستخرج ورقة مطوية طيات عديدة. وراح يفض
التجاعيد - الواحدة تلو الأخرى - الموجودة بالورقة إلى أن ظهرت
فى نهاية الأمر ثمانى لآلىء مشوهة وصغيرة للغاية بل وقبيحة

ورمادية مثل القرحات الصنديلة . والأكثر من ذلك أنها كانت
مسطحة وعذيمة للجذوي .

أخذ الخادم الورقة وأغلق البوابة مرة أخرى . إلا أنه لم يغب
طويلا في هذه المرة . فسرعان ما فتح البوابة فتحة ضئيلة للغاية
بحيث لا تسمح إلا بإعادة الورقة إلى صاحبها بالخارج . وقال :

« لقد خرج الطبيب من المنزل . حيث تم استدعاؤه لعلاج
حالة خطيرة .. »

ثم أغلق البوابة بسرعة بسبب شعوره بالخطر

وهنا سرت موجة من الشعور بالخطر والعار بين كفاية
الموجودين في الموكب . وتبدد الناس وذهب كل منهم إلى سبيله .
ورجع المشاة إلى سلاط الكتيبة وتشتت مجموعات الناس
المنشرة في غير نظام ، ورحل الجيران لكي لا يشهدوا بعيونهم
الخرى والعار الذي لحق بكيلو .

وظل كينو واقفا لفترة طويلة أمام البوابة وظلت جواتنا واقفة إلى
جواره . وفي بلاء وضع كينو شبعه فوق رأسه . ثم قام فجأة بتوجيه

متربة ساحقة تلويبة بجماع يده . ويمدّذ نظر إلى لسط في دهشة
إلى المفاصل المشقوقة في أصابع يده وإلى الدماء التي انسابت بين
أصابعه

الفصل الثانى

كانت المدينة تقع على مصب نهر عريض واسع .. وكانت
مبانيها القديمة الصلراء اللون المكسوة بالجص تعانق الشاطئ ..
وعلى الشاطئ كانت زوارق الكتور الطويلة الخفيفة والتي جاءت
من ناباريته مسحوبة إلى البلاج حيث توقفت . وهى زوارق قد
تمت صيانتها والحفاظ عليها على مدى أجيال عديدة عن طريق
جص نائف مقاوم للماء شبيه بالحجارة ، وهو جص كان إعداد
بمنايا سر لا يعرفه سوى الناس المشتغلين بصيد السمك .

كانت زوارق الكتور عالية ورشيقة وبها إنحناء فى مقدمتها
ومؤخرتها مع وجود جزء مقوى فى وسط الزورق حيث يمكن
تثبيت الصاري الذى يحمل شراعا مثلث الشكل .

وكان الشاطئ رمالاً صفراء اللون، ولكن عند حافة المياه كانت الأصناف المتكسرة والطحالب المائية تحمل مثل الرمال الصفراء. وكانت السرطانات العابثة تزعج وتزبد وتتدفق وتهب في ثقبها بالرمال، وفي المياه الضحلة كان بعض جراد البحر يدخل ويخرج من بيوته الصغيرة الموجودة بين قطع الحجارة الصغيرة وفي الرمال.

- وكان قاع البحر زائخاً بالأشياء الزاحفة والعائمة والمتدفقة إلى حيز الوجود. كانت الطحالب المائية النباتية اللون تموج مع التيارات المائية الهائلة. وكانت مراعى سمك الجريت، تكايل في ترحب بينما أفراس البحر الصغيرة تتعلق في سيقان تلك المراعى. وكان سمك البونيت المنقطع - وهو سمك سام - مستلقياً على القاع فوق الأعشاب الطحلبية، بينما سرطانات البحر السابحة الناصعة الألوان تجري فوقه.

وفوق الشاطئ كانت كلاب المدينة العائمة وخنازير المدينة العائمة نائمة للبحث إلى ما لا نهاية عن أية سمكة ميتة لو لم يطار بحرى ميت يكون قد طفى فوق الماء ثم ألقت به أمواج المد والجزر على الشاطئ.

ورغم أن الصباح كان ناشئا إلا أن السراب الضبابي كان عالجا، فالهواء المتقلب الذي يضخم بعض الأشياء ويخفي أشياء أخرى قد تعلق فوق الخليج بأكمله، حتى أن كافة المناظر كانت زائفة، وأصبح من المستعذر الثقة في الرؤية، حتى أن البحر والأرض كان لهما التوضوح العاد والغموض العاد مثلما يظهران في الأحلام. وربما كان هذا هو السبب في أن أهالي الخليج كانوا يثقون في الأشياء المتعلقة بالأرواح والأمور المتعلقة بالدخيل والخيال ولكنهم كانوا لا يثقون في عيونهم عندما تبين لهم مسافات أو الخطوط الخارجية الواضحة أو أية أمور بصرية بالغة للتوضوح والدقة!

وعبر مصب النهر من جهة المدينة كان يقف قسم واحد من لشجار «المدجروف»^(١) واضحة ومحددة تشكوبيا. في حين أن مجموعة أخرى من تلك الأشجار كانت تبدو مثل مساحة ضبابية ملطخة باللون الأزرق الداكن. وكان جزء من خط الساحل البعيد مختلفا في مبيض معنيء شبيه بالماء.

(١) المدجروف: شجر استوائي يتلاق من أشعائه جنور جديدة.

لم يكن هناك يقين في المشاهدة إذ لا يوجد برهان أو دليل يدل على أن ما شاهدته كان موجودا هناك أو غير موجود.. ولذلك كان كافة الناس بالخيل يتوقعون أن تكون جميع الأماكن على تلك النحو، ولم يكن هذا أمرا غريبا عليهم. وتعلق صباب نحاس اللون فوق الماء وصنريت شمس الصباح الساخنة فوقه وجعلته يحدث ذبذبات تخطف الأبصار.

وكانت المنازل المصنوعة من الأغصان والخاصة بالناس المشتغلين بصيد الأسماك تقع خلف الشاطئ على الجانب الأيمن للمدينة وكانت زوارق الكنوا تقف في مواجهة هذه المنطقة.

وتذهب كينو وجوانا في بطة نحو الشاطئ ثم إلى زورق الكنوا الخاص بكنو والذي كان هو الشيء الوحيد للقيم الذي يمتلكه في هذا العالم.. كان زورقا بالغ القدم، وكان قد اشتري هذا الزورق من تاياريت، ثم أعطاه بعد ذلك لولد كينو. ثم انتقلت ملكية القارب بعد ذلك إلى كينو. وأصبح على الفور من ممتلكات كينو ومصدرا للطعام لأن الرجل الذي يمتلك قاربا يمكن أن يعتمد قذرا من الطعام لزوجه. فهو بمثابة الدعامة ضد

الهلاك جوعاً ، وفي كل عام كان كيدو يعيد سيان زورقه بالجبس الذي يشبه المحارة من حيث الصلابة مستخدماً تلك الطريقة السرية التي توافقت إليه عن طريق والده . ولقد ذهب في تلك الآونة إلى زورقه ولمس مقدمته في رقة مثلما كان يفعل دائماً . ووضع صخرة الخطم الخاصة به والمعدة الخاصة به والحبطين في الرمال بجوار الزورق . ثم طوى بطانيته ووضعها في المقدمة .

وضعت جوانا ابنها كويوتيتو فوق البطانية . ثم وضعت شالها عليه لكي لا تسطع الشمس الساخنة فوقه . وكان كويوتيتو هائداً في تلك الآونة إلا أن الأورام الموجودة على كتفه كانت قد زحفت لأعلى إلى رقبته ونعت أذنه ، ووجهه كان مفتقفاً ومحموماً .. وذهبت جوانا إلى الماء ثم غاصت فيه . وراحت تجمع بعض الأعشاب البحرية البلدية للون وعملت منها لبخة مسطحة رطبة ثم وضعت اللبخة على كتف الطفل المتورم .. وهي لبخة كانت علاجاً حسناً مثل أي علاج آخر بل ربما كانت أفضل من العلاج الذي كان سيفدحه الطبيب . إلا أن هذا العلاج كانت تنقصه موافقة الطبيب عليه لأنه كان بسيطاً ولا يكلف أية تكاليف مالية .

ولم تكن التقلصات المعذية قد ظهرت على كينو كينو.. وربما كان السبب في ذلك أن جوانا قد امتصت السم في الوقت المناسب، إلا أنها لم تكن قد امتصت قلفتها الشديدة على أول مولود لها. ولم تكن قد أتت صلوات مباشرة من أجل شفاء طفلها الرضيع.. ولكنها كانت قد توسلت إلى الله لكي يتم العثور على لؤلؤة تستطيع بثملها أن تستأجر طبيباً يُعالج طفلها الرضيع لأن عقول الناس لم تكن مدعمة بالدلائل والأسانيد مثل سراب الخليج.

ثم أنزل كينو وزوجته جوانا الزورق إلى المياه في انزلاق، وعندما ملقت مقدمة الزورق هبطت جوانا إلى داخل الزورق بينما راح كينو يدفع مؤخرة الزورق ويخوض في الماء بجواره إلى أن ملقا في خلة وارتعش فوق الأمواج. وبعدئذ بدأ كينو وجوانا يعملان في تناسق وهما يدفعان بمجاديفهما المزدوجة للتعامل في البحر فأحدث الزورق طيات ولثيات بالماء وأصدر قعيقاً وصفيحاً مع نصاعد سرعته. وكان رجال اللؤلؤ الآخرين قد انطلقوا منذ فترة. وفي خلال دقائق قليلة تمكن كينو من مشاهدتهم حيث كانوا مجتمعين في السديم الضبابي ومختبئين فوق مكان بقاع البحر تنمو فيه السماعات ذات الأصناف.

وتسرب الصنوء إلى أسفل من خلال الماء إلى القاع حيث ترفد
مخارات الطلوز ملتصقة بالقاع الملىء بالأتقاض، وهو قاع تنتشر
عليه أصداف بها مخارات مكسورة ومفتوحة. لقد كانت هذه
المساحة من قاع البحر هي التي جعلت ملك أسبانيا يصل إلى نفوذ
هائل في أوروبا في السنوات الماضية، كما ساعدته على تسديد
نفقات الحروب التي خاضها وعلى زخرفة الكنائس من أجل
روحه.

والمخارات الرمائية بها تموجات خفيفة مثل الحواف فوق
الأصداف. أما المخارات ذات القشرة الملتصقة بها قطع صغيرة
من الأعشاب البحرية المتطقة بالحواف والتي تنسلق عليها
سرطانات صغيرة. وقد تعرضت هذه المخارات لعائنة، وقد ترفد
حبة رمل بين طبقات عضلة وتحدث تورفا في اللحم، إلى أن يقوم
اللحم بحماية نفسه فيغلف حبة الرمل بطبقة من الأسمنت اللزج،
ولكن ما أن تبدأ هذه العملية حتى يستمر اللحم في تغليف الجسم
الغريب إلى أن ينقطع متحرراً في هيئة فجائية من هبات المد
والجزر أو إلى أن تنكسر صدفة المخارة ذاتها. وتقد ظل الرجال

لعدة قرون يغمسون إلى قاع البحر ويعزقون المحارلات في قاع البحر ويشقونها بقوة باحثين عن هياكل الرمال المغلفة.. وكانت حشود الأسماك تعيش بالقرب من القاع حتى تكون قريبة من المحارلات التي يتقى بها الرجال الباحثون عن اللؤلؤ ولكن تفرض وتقتصر في الأهداف الداخلية للامعة . ولكن اللآلئ كانت من قبل المصادفات العارضة وكان العثور على لؤلؤة واحدة مسألة حظ سعيد لو مسألة تربيت بسيط على الظهر بمعرفة الله .

وكيف كان يمتلك هبلين ، أحدهما مربوط في حجر ثقيل والآخر مربوط في سلة ، وخلق كينو قميصه وبنطلونه ووضع قميصه في قاع الزورق . كانت المياه ناعمة ومغطاة بالزيت ، وأخذ صخرته بأحدى يديه وأمسك سلكه باليد الأخرى وانزل بقميصه أولاً على جانب الزورق فنزلت به الصخرة إلى القاع . وارتفعت الفقاعات وراءه إلى أن أصبحت المياه صافية وأصبح بمقدوره الرؤية فيما حوله . وقوفه كان سطح الماء بمثابة مرآة متموجة من اللسان ويمكن من مشاهدة قاع الزوارق المشبعة من خلالها .

وتحرك كينوا في جرحى وحذر لكي لا تتعكر المياه بالطين لو
الرمال. وعلق قدمه في الأنسوجة الموجودة فوق مسطرقه وراح
يداه تشتغلان بسرعة وتمزقان وتفضان المحارات التي كان بعضها
منفرداً وقالما بذاته، والبعض الآخر كان على شكل كوكبه متجمعة
من المحارات. ووضع المحارات في سلة. وفي بعض الأماكن
كانت المحارات ملتصقة مع بعضها البعض حتى أنها كانت تندفق
في يديه على هيئة كتل غير منتظمة الشكل.

وكان أهالي كينوا يتغنون بكل شيء يحدث أو يصادفهم. وكانوا
قد ألفوا أغنيات للأسمالك وأغنيات للبحر في حالة الهياج والبحر
في حالة الهدوء والسكون.. وأغنيات للنور والنور وأغنيات للظلام
وأخرى للشمس والقمر.. وكانت الأغنيات كلها راسخة في داخل
كيان كينوا. وفي داخل كيان أهاليه.. تتردد كل أغنية قبلت بل
وحتى الأغنيات التي طواها للنسيان.

وعندما ملأ كينوا سلة كانت الأغنية ماثلة في كيانه وكان
ليقام الأغنية هو يقات قلبه وهو يستهلك الأوكسجين من أنفاسه
للتوقف. وكانت ميلوديا الأغنية هي المياه الخضراء الرمادية،

والحيوانات الصغيرة المهدولة، وسحب الأسماك التي تهبط إلى
جواره وتتعلق بهدا.. ولكن الأغنية كانت تتضمن أغنية داخلية
صغيرة سرية، لا يمكن إدراكها إلا بصعوبة بالغة، وتكتها مع ذلك
موجودة دائما، عذبة وسرية ومثبطة وتكاد تكون مخفية في النغمة
المضادة... وهذه كانت الأغنية للؤلؤة الصنخمة التي ينبغي العثور
عليها!، لأن كل صدفة تلقى في السلة قد تحتوي على لؤلؤة.

وكان يكتب يدرك أن زوجته جوانا المنظرة في الزورق الذي
يعلمه تقوم بتراويل السحر الخاص بالصلوات. وكان يدرك أن
وجهها أصبح صارما وجامدا وأن عضلاتها أصبحت متصلبة وذلك
في محاولة منها لأرغام العظ واستخلاصه من بين أيدي الآلهة
لأنها كانت بحاجة للعظ من أجل كنف كويو تيتو المذموم!

ولأن الاحتياج كان هائلا، ولأن الرغبة كانت صارمة، فإن
الميلوديا السرية الصغيرة للؤلؤة التي ينبغي أن تكون، كانت أشد
قوة في هذا الصباح.. إذ تدفقت عبارات كاملة منها في وهنوح
ونعومة إلى داخل كيان النغمة «تحت سطح البحر».

كان بمقدور كيدو - من خلال عطفوانه وشبابه واختباره - البقاء في القاع تحت الماء لفترة تزيد على دقيقتين بدون الشعور بالاجهاد ولذلك فقد عمل بهدوء وتأنى، وراح يلتقى ويختار الصدقات الكبيرة . ولأن صدقات المحارة قد تعرضت للزعاج فإنها كانت مغلقة في أحكام شديد . وعلى مسافة صغيرة إلى يمينه بدأت ربوة صغيرة منهزمة في العزف الموسيقى .. شابة صغيرة لمست على استعداد للأصباك بها ، فتحرك كيدو في اتجاه تلك الربوة .. وعندئذ شاهد إلى جوارها وتحت صخرة بارزة محارة ضخمة للغاية مستلقية بمفردها وغير مغطاة بمشيقاتها من المحارات الأخرى الصغيرة التي تلتصق عادة بالمحارة الكبيرة .

وكانت تلك المحارة البالغة للضخامة مفتوحة بعض الشيء لأن الصخرة البارزة كانت تسمى هذه المحارة القديمة . ومن داخل الصنلة التي تشبه الشفة شاهد كيدو تألقا طبيا شبيها ، وعندئذ أنهت المحارة البث والارسال . فراح قلبه يخفق في ايقاع ثقيل . وحدث نغمة «اللزوجة للضخمة» بصوت عال وحاد في لاذنيه !

وفى بطن حذر المحارة وفك قيودها وأمسك بها فى أحكام على صدره . وركل بقدمه مقلبا ساقه من أنشودة الصخرة فأرتفع جسده إلى سطح الماء وتلاأ شعره الأسود تحت ضوء الشمس . وارتفع بجسده فوق جانب الزورق وألقى بالمحارة الهائلة فى قاع الزورق !

وبعد راحت جوانا تنفخ للزورق بينما كان هو ينسلق صاعدا إليه . كانت عبياء تلمعان بالآثار البالغة وتظاهرت هى بالنظر بعيدا . إذ ثم يكن من الخير أن يطلب المرء شيئا أكثر من اللازم . لأن هذا يؤدى أهبانا إلى أبعاد الخط فى بعض الأحيان . ينبغي عليك أن تطلب الخط بقدر كاف فقط وينهى عليك أن تكون لبقا وديلو ماسيا مع الله . إلا أن جوانا حبست أنفاسها . وفتح عينو سكبنة القوى القصير عن عمد شديد . وتظر فى تأمل إلى السلة . ربما من الأفضل له أن يفتح المحارة المنخمة بعد أن يفتح كل المحارات الصغيرة الأخرى . . فالتقط محارة صغيرة من السلة ، وبحث عن طيات اللحم ثم ألقى بها فى الماء . وبعد بدأ عليه كأنه يشاهد المحارة المنخمة لأول مرة . فجلس القرفصاء فى قاع

الزورق والنقط المحارة الضخمة وراح يفحصها . كانت العفر
السطحية بها تلصق باللون الأسود المتدرج حتى اللون البني ولم يكن
يتعلق بها سوى عدد قليل من الأصداف البحرية الصغيرة . وكان
كثير في تلك الآونة لا يرغب في فتحها . إذ كان يدرك أن ما
شاهده ربما كان مجرد سطح عاكس للضوء أو ربما قطعة من
الصدفة المسطحة قد انجرفت مع التيار بطريق المصادفة أو ربما
كان الأمر كله وهما كاملا .. ففي هذا الخليج الذي تسوده الأصواء
المقلبة غير المتيقنة كانت الأوهام أكثر من الحقائق .

ولكن عبثا جرونا كانتا مصوبتين عليه ولم يكن بمقدورها تحمل
الانتظار . فوضعت يدها فوق رأس كويو نيدو للمطى وقالت في
نعومة وهذوء :

.. القتها !! .

وفي حلق ومهارة إنزلق كويو يسكنة على حافة المحارة ..
ولمستاع من خلال السكين الشعور بالعصلة وهي تشدد الخلق في
احكام فاستخدم علة النصل فانفجرت العصلة الضامة وتفسخت

المعارة . ونصاعداً إلى أعلى اللحم الذي يشبه الثقة ثم هبط ، فرفع
كبد اللحم وهنالك كانت ترقم مستقبية اللؤلؤة العظيمة كاملة ورائحة
مثل القمر . . . ولقد ولت على المصنوع وهذيتة وعكسته في توهج
فضي !

كانت في نفس حجم بيضة طائر النورس . كانت أعظم لؤلؤة
في العالم !

وهبت جوارنا أنفاسها وتأوهت قليلاً . وذهبت في كيان كبير
القيمة السرية للؤلؤة العظيمة في وضوح وجمال . كانت نغمة
خصيبة وباقلة ومحبة للفس ومكرهجة ومثيرة لهم الناظرين
ومتصرة .

وفوق سطح اللؤلؤة العظيمة كان باستطاعته مشاهدة الحتم وهو
يتشكل ويتكون . فالتقط اللؤلؤة من مليات اللحم المشرف على
الموت ووضعها في راحة يده وقلبها وأدرك أن الانحناء بها ممتازاً
وكاملاً . . . واقتربت جوارنا لكي نعلق في اللؤلؤة الموضوعة في
راحة يده .

لقد كانت تلك اليد هي التي حطمتها على بوابة الطبيب . وكان
اللحم المعروق عند مفصل أصابعه قد أخذ في التحول إلى اللون
الأبيض الرمادي بفعل مياه البحر .

وبطريقة غريزية ذهبت جولنا إلى كوبر نيلو حيث كان مستلقيا
فوق بطانية والده . ورفعت اللبحة المكونة من الأعشاب البحرية
ونظرت إلى الكتف ثم صاحت بصوت حاد « كينوا » .

فنظر إلى ما وراء لوثوته ولدرك أن الأورام بدأت في التلاشي
من كتف الطفل الرضيع ، وعرف أن اللحم أخذ في الانحسار عن
جسده ، ثم أطبقت يد كينوا على للوثوة العظيمة واجتاحتها موجهة
عارضة من العاطفة . فألقى رأسه للخلف وانفجر في عواء عليل ! ..
وتسحرجت عذاه إلى أعلى وراح يصرخ وأصبح جسده متصلبا .
فنظر الرجال بالزوارق الأخرى إلى أعلى وأصابعهم البيضاء ثم
راحوا يجذفون بزوارقهم في البحر متجهين بأقصى سرعة نحو
زورق كينوا .

الفصل الثالث

المدينة شيء يشبه الحيوان الأسعجاري . والمدينة لها جهاز عصبي ولها رأس وكفان وقدمان . والمدينة شيء منفصل عن كافة المدن الأخرى .. حتى أنه لا توجد هناك مدينتان متشابهتان . والمدينة لها عاطفة كاملة وإحساس كامل .

وكيفية انتشار الأنباء في أرجاء المدينة يعتبر سرا ليس من السهل للتوصل إلى حل له أو معرفته . إذ تبدو الأخبار وكأنها تتحرك بشكل أسرع مما يفعله الأولاد الصغار الذين يندفعون ويتدافعون ويكلمون عنها بل وأسرع مما تلعبه النساء وهن يتبادلن الأخبار فوق الأسوار .

فقبل أن يصل كينو وجوانا وغيرهما من الصيادين الآخرين إلى منزل كينو المصنوع من أغصان الأشجار كانت أعصاب المدينة تخفق وتبيض بالأبناء.. لقد عثر كينو على تولوة العالم.. وقبل أن يتمكن الأولاد الصغار اللاهثون من الإفضاء بالكلمات كانت أمهاتهم قد عرفن الخير، فالأبناء كانت قد اكتسحت المازن المصنوعة من الأغصان، وتدفعت في موجة مليئة بالزبد إلى مدينة الأحجار والجبس، ووصلت الأنباء إلى القسيس الذي كان يسير في حديقته، فظهرت على عينيه نظرة مستغرقة في التفكير وفقرت إلى نهله أصلاحات معينة ضرورية للكنيسة، وسأل نفسه في تعجب: ترى ما هي القيمة المالية لهذه التولوة؟

وسأل نفسه عما إذا كان قد قام بتعميد الطفل الرضيع كثيرا أو اتخاذ إجراءات زواجه، ووصلت الأنباء إلى أصحاب المتاجر فنظروا إلى ملايين الرجال التي لم تحظ بالأقبال على شرائها.

ووصلت الأنباء إلى الطبيب حيث كان جالسا مع امرأة كان مرضها هو الشيفوخة، ولكنها لم تكن هي ولا الطبيب على استعداد للاعتراف بهذه الحقيقة.. وعندما أصبح من الواضح من هو كينو

ظهرت على وجه الطبيب سمات الجد والوقار والحكمة في أن
واحد..

وقال: «أه زبون عندي».. واستطرد: «فلنا لقوم بمعالجة
طفله من لدغة عقرب»

واتسعت عينا الطبيب بعض الشيء في أرجوحاتهما الشبكية
السمينة، وفكر في ياريس، وتذكر الغرفة التي كان يعيش فيها
هناك من حيث أنها كانت مكانا عظيما ومزونا بأسباب الدرف
والرفاهية وتذكر المرأة ذات الوجه الجامد والتي عاشت معه كفتاة
جميلة وعطوفة... رغم أنها لم يكن لديها شيء من هذه الأمور
الثلاثة. ونظر الطبيب إلى ما وراء مريضته العجوز قشاعة نفسه
جالسا في مطعم ييلريس بينما كان الجرسون يفتح له زجاجة من
النبيذ..

ووصلت الأنباء مبكرة إلى للشحاذين للواقفين أمام واجهة
الكنيسة، فأخذوا يضحكون ويقهقون لبعض الوقت في شيء من
السعادة، لأنهم كانوا يدركون أنه لا يوجد أي ولعب للصداقات في
العالم، مثل رجل فقير يهبط عليه الحظ والثراء فجأة!

لقد عثر كينوتو على «لؤلؤة العالم» - وفي المدينة كان الناس الذين يشترون اللآلئ من الصيادين يجلسون في مكاتب صغيرة.. وكانوا ينتظرون في المقاعد والكراسي الخاصة بهم إلى أن تجيء إليهم اللآلئ، وبعدئذ يترشون في متوضاء ويتشاجرون ويصرخون ويهتفون إلى أن يصلوا إلى أقل سعر يمكن أن يتقبله الصيادون. ولكن كان هناك سعر معين بحيث لم تكن لديهم الجراءة على تخفيضه لأنه قد حدث ذات مرة أن قام أحد الصيادين - بعد أن شعر باليأس المرير بسبب تخفيض الأسعار أكثر من اللازم - بإعطاء اللآلئ الخاصة به للكنيسة.

وعقب انتهاء عملية الشراء كان هؤلاء المشترون يجلسون بمفردهم بينما أصابعهم تلعب باللآلئ في قلق وتوتر، حيث أنهم كانوا يتعلمون لو كانوا يملكون بالفعل هذه اللآلئ. والسبب في ذلك أنه لم يكن هناك في الواقع مشترون عديدين - وإنما كان هناك مشتري واحد فقط، وهذا المشتري الوحيد كان يحتفظ بهؤلاء العملاء في مكاتب منفصلة بهدف إعطاء المظهر الخارجي للمناقسة. ووصلت الأنباء إلى هؤلاء الرجال قراحت عيونهم لتغامز

ونظروا شورا، وافقت أطراف أصابعهم بعض الشئ في اشتعال،
وراح كل منهم يفكر في كيف أن صاحب هذه المؤسسة لا يمكنه
أن يعيش للأبد، ولا بد أن يحل محله شخص ما آخر. وراح كل
منهم يفكر في كيف أنه باستطاعته أن يبدأ حياة جديدة إذا توفر
لديه شئ من رأس المال.

وأصبح كافة أنواع الناس مهتمين بكبلو.. الناس الذين لديهم
أشياء للبيع والناس الذين يطلبون العون والمساعدة في أمور معينة.
لقد عثر كينو على لؤلؤة للعالم. وترسب جواهر اللآلئ، المصنوع
بجواهر الرجال بالاضافة إلى ترسبات أخرى مظلمة بنية. إذ
أصبح كل رجل على صلة بلؤلؤة كينو بشكل فجائي.. ونقلت
لؤلؤة كينو في الأحلام والتأملات والمشروعات والخطط
والمستقبل، والرغبات والاحتياجات والتهافتات الشديدة والجوع لكل
شخص.. ولكن هناك شخص واحد يقف حجر عثرة في الطريق
وذلك الشخص هو كينو حتى أنه قد أصبح بالفعل - وعلى نحو
مثير للدهشة - عدوا لكل رجل!

وأثارت الأنباء شيئا ما أسود وشريرا إلى درجة لانهائية في
العديّة . وكان النتاج المكثف لعملية التقطير السوداء يشبه العقرب أو
يشبه الأحساس بالجوع عند شم رائحة الطعام أو يشبه الشعور
بالاكتئاب والوحدة عندما يتم كيح جماع الحب

وبدأت جيوب السم في المدينة في تصليح السم والحقد ..
فترمت المدينة وانتفخت تحت وطأة السموم!

الا أن كينو وجوانا لم يعرفا هذه الأمور . ولأنهما كانا سعيدين
وفي حالة من الاثارة البالغة فقد ظنا أن كل شخص آخر كان
يشاركهما فرحتيهما . وكان جوان توماس وزوجته أبولونيا
يشاركتهما الفرحة ، وكلتا هما بمثابة العالم أيضا . وفي فترة ما بعد
التظهر عندما كانت الشمس قد غطت جبال شبه الجزيرة وانتهت
نحو الفوس في النهر الخارجى ، جلس كينو للفرقضاء في منزلته ،
بينما كانت جوانا تجلس إلى جواره . وكان المنزل المصنوع من
الأغصان مزدحما بالجيران . وكان كينو ممسكا باللوثة العظيمة في
يده .. وكانت لللوثة تموج بالذقة والحياة والحيوية ..

وكانت موسيقى اللؤلؤة قد اندمجت مع موسيقى العائلة حتى
أن كلا منهما كانت تضيف السحر والجمال على الأخرى، ونظر
الجيران إلى اللؤلؤة الموجودة في يد كيدو وتعجبوا: كيف يمكن أن
يهبط مثل هذه الحظ الخرافي على أي رجل؟

وتساءل جوان توماس الذي كان يجلس القرقصاء عند البد
اليمنى لكيئو لأنه كان شقيقه: ماذا ستفعل الآن بعد أن أصبحت
رجلا غنيًا.

فنظر كيدو إلى لؤلؤته مليا، وألقت جولنا بزموش عينيها لأسفل
وربت من شالها لكي تغطي وجهها حتى لا يلحظ أحد مدى الثور
والاثارة التي تجتاحها. وفي النهج للمراى اللؤلؤة تكونت الصور
للأشياء التي كان ذهن كيدو قد فكر فيها في الماضي ثم توقف عن
التفكير فيها على أساس أنها من الأمور التي يستحيل تحقيقها.

ففي داخل اللؤلؤة شاهد جوانا وكويو تبنو وشاهد نفسه حيث
كانوا يقفون ويركعون عند مذبح الكنيسة العالي وكانت نهري
لجرامت زواجهما طالما أصبح بمقدورها دفع تكاليف مراسم

الزواج. فتكلم في صوت هائئ ورخيم وقال: استنجد
أجرامات زواجنا في الكنيسة.

وفي داخل اللؤلؤة شاهد القدي التي وصلت إليه ملايسهم.. إذ
شاهد جوانا مرتدية شالا متليصا بعض الشيء بسبب أنه جديد
تماما.. كما كانت مرتدية حوثة جديدة، ومن تحت الحوثة
الطويلة أدرك كيدو أنها كانت تلبس حذاء. كانت الصور متألقة
هناك في داخل اللؤلؤة..

أما كيدو نفسه فكان مرتديا ملابس بيضاء جديدة وكان يحمل
قبعة جديدة.. وهي قبعة ليست مصنوعة من الفس، وإنما من اللياد
الأسود الرقيق.. كما كان يلبس هو الآخر حذاء.. ليس صندلا ولكن
حذاء بعقد برياط.

ولكن كويو تيتو كان هو الشخص الوحيد الذي يرتدي حثة بعثر
زرقاء مستوردة من الولايات المتحدة الأمريكية.. كما يرتدي
طاقية بحار صغيرة تماما على النحو الذي شاهده كيدو من قبل
عندما دخلت سفينة ملئت إلى مصب النهر.

كل هذه الأمور شاهدتها كيتو في التلوذة الصافية الشفافة . ثم
قال بصوت مسموع : «ولسوف نحصل على ملابس جديدة» .
وتصاعدت موسيقى التلوذة مثل كورس العنقدين في أنفیه .
وبعدئذ ظهرت على السطح المحيى تلفس الرهادى اللون لؤلؤة
الأشياء الصغيرة التى يريدونها كيتو : الحريون^(١) ليحل محل
الحريون الذى فقد منذ عام .. حريون جديد مصروع من الحديد
وبه حلقة فى نهاية تصبة الرمح . هذا بالإضافة إلى - يوجد عقله
صعوبة فى تحفيت هذه الوثبة - البندقية، ولكن ما المانع فى ذلك
طالما أنه قد أصبح غنيا للغاية ؟ ثم قام كيتو بمشاهدة كيتو فى
داخل التلوذة حيث كان كيتو ممسكا ببندقية صغيرة ماركة
ونشيسلير . وكانت هذه اللقطة هى أكثر أحلام البقطة جموها كما
كانت ممثلة للغاية . فتحررت شفتاه فى تردد وقال بصوت
مسموع : «بندقية صغيرة .. واستطرد «ربما بندقية صغيرة» .

(١) الحريون : وهو رمح تصيد الحيتان .

وكانت البندقية هي التي هطمت الحواجز. فهذا كان من الأمور المستحيلة وإذا كان باستطاعته التفكير في الحصول على البندقية فإن جميع الأفاق قد تفجرت وأصبح بمقدوره الهجوم عليها. لأنه يقال أن الأدميين لا يشبعون على الإطلاق. فإذا أعطيتهم شيئا ما فإنهم يرغبون في الحصول على المزيد من الأشياء الأخرى.

وكثيرا ما يقال هذا في شيء من الاستخفاف بالإنسان والخط من قدره في حين أن هذا يعتبر من أعظم المواهب التي امتلكها الجنس البشري، لأنها هي التي جعلت الإنسان متفوقا على الحيوانات التي تقع بما لديها من أشياء.

وأما الجيران المتلاصقون في صمت بالمنزل برؤوسهم لدى سماعهم نصوراته وخیالاته الجاسحة، وتتمتع رجل جالس في المؤخرة قائلا: «بندقية.. سيكون عنده بندقية!»

الا أن موسيقى اللؤلؤة كانت تدوي بالنصر في داخل كيان كبدو. وارتفعت جوانا ببصرها إلى أعلى واتسعت عيناها بسبب

شجاعة كيفو وخيالاته الجامحة.. وكانت قوة كهربائية قد هيئت
عليه بعد أن تم زخزحة الأفاق، وفي داخل اللؤلؤة شاهد كويو تيلو
جالسا إلى مكتب صغير في إحدى العدارين، مثلما شاهد كيفو ذلك
للمشهد ذات يوم من خلال باب مفتوح، وكان كويوتيلو مرعوبا
جائكا وكانت له ياقة بيضاء ورياط علق عريض من الحرير،
وعلاوة على ذلك كان كويو تيلو يكتب على قطعة كبيرة من
الورق، فتنظر كيفو إلى جبرائه في وحشية وقال: وابنسى
سيذهب إلى المدرسة!..

فهبط المسكون المطبق على الميران، وحييت جواتا أنفاسها
بعمدة، كانت عيناها تلحمان وهي تنظر إليه ثم نظرت بسرعة إلى
أسفل نحو كويو تيلو المحمول بين ذراعيها لتري ما لذا كان هذا من
الأمر للممكنة.

ولكن وجه كيفو سطع بالثبوءة: وابنسى سوف يقرأ ويفتح
الكتب.. وابنسى سوف يكتب وسوف يعرف الكتابة.. وابنسى سوف يعرف
الحساب والأرقام وهذه الأمور ستجطا أحرارا لأنه سوف يعرف..
هو سوف يعرف.. ومن خلاله سنعرف نحن!..

وفى داخل التلوة شاهد كينو نفسه وجوانا وهما جالسين
للقرفصاء بجوار النيران الصغيرة بالكوخ المصنوع من الأغصان
فى حين كان كويو تبتو يقرأ فى كتاب منجم. وقال كينو: «وهنا
هو ما ستفعله التلوة له».

لم يسبق لكينو أن قال مثل هذه الكلمات العديدة فى وقت واحد
طوال حياته على الإطلاق. وقبلة بدأ يشعر بالخوف من كلامه
الكثير.. فاطبقت يده على التلوة فانقطعت الأصواء المتألدة
للمبعدة عنها. كان كينو خائفا مثل خوف الرجل الذى يقول: «لنا
سوف أعمل كذا وكذا». بدون أن يدري ماذا ستسفر عنه الأمور!

وفى تلك اللحظة أترك الجيرلن أنهم قد شهدوا أعجوبة عظيمة.
ولم يركوا أن التاريخ سيؤرخ له ابتداء من لولة كينو.. ولهم
سيفتولون هذه اللحظة الخالدة بالمناقشة على مدى السنوات
للعديدة القادمة. فإذا كانت هذه الأمور قد جاءت للمر وتلقى
فإنهم سيحكون ويقصون مرا را ونكرارا ويصفون منظر كينو فى
تلك اللحظة الخالدة والأقوال التى قالها والسمعان الذى سطر فى
عبيده ولسوف يقولون: «كان رجلا صغير المظهر والهيئة. فقد

هبطت عليه بعض القوي وهنالك بدأت . وهأنتم ترون كم أصبح
رجلاً عظيماً ابتداء من تلك اللحظة . وأنا قد شاهدت ذلك بنفسى !

ولذا أسفرت خطط كينو عن لا شئ فبان نفس أولئك
الجيّران قد يقولون : هنالك بدأ ذلك الأمر . فقد هبط عليه جنون
سقيف حتى أنه راح يتكلم ويقول كلاماً سخيلاً . ولحفظنا الله من
مثل هذه الأمور . نعم . لقد عاقب الله كينو لأنه ثار على الأرضاع
للمائدة . وأنتم ترون بأنفسكم ما حدث له . وأنا بنفسى قد شاهدت
الملاحظات التى فقد فيها رشده وصوابه وعقله ! .

وتنظر كينو نحو يده المغلقة وكانت مفاصل أصابع يده مثبّطة
بالنساء المتجلطة على هيئة قشرة ومشدودة فى الأماكن التى
ارتطمت بالهولاء .

وبدا الشفق الأحمر يزحف على المكان فى تلك الآونة .
وعقبت جواتا شالها على هيئة أنشودة تحت طفلها للرضيع حتى
يمكنه أن يتطرق على مفصل قطنها . ثم ذهبت إلى حفرة النيران
وكشفت عن الفحم الموجود بين الرماد ثم راحت تكسر أغصاناً

قليلة وتصنعها فوق الفحم . وأخذت تهوى على النيران إلى أن
تصاعدت أسنة الذهب .

وتراقصت أسنة الذهب الصغيرة فوق رجوه الجدران . وكان
الجدران يذكرون أنه ينبغي عليهم أن يتصرفوا لكي يتناولوا وجبات
العشاء الخاصة بهم ولكن لم تكن لديهم الرغبة في الانصراف .

كان الظلام قد بدأ يرخى سدوله إلى حد ما . . وكانت نيران
جوانا تنقن بالظلال فوق الحوائط المصنوعة من القش عندهما
صدر بعض الهمس مثراميا من قم إلى قم : الأب القسيس
قادم . . القسيس قادم . فكشف الرجال عن رؤوسهم وتراجعوا عن
الآبابت وثقت الميندات المشال حول وجوههن وألقين بهنهن إلى
أسفل .

وبعض كثير واقفا كما وقف شقيقه جوان ترماس ودخل القسيس
إلى المكان . . رجل شيب بصيل إلى الكبر في السن وذو بشرة قديمة
وعين شابة حادة . كان ينظر إلى هؤلاء الناس على أنهم مجرد
أطفال . وكان يعاملهم معاملة الأطفال .

قال القسيس في صوت رقيق : يا كينوأنت قد سميت
باسم رجل عظيم .. وفيمن عظيم للكنيسة ..

وجعل تلك العبارة تبدو وكأنها بركة قد منحت لكبير.
واستطرد قائلا : والشخص الذي يحمل نفس اسمك قد روض
الصحراء وجعلها أكثر ألفة .. وجعل عقول أهاليك أكثر حلاوة ..
هل تعرف ذلك ؟ أن هذه المعلومات موجودة في الكتب ..

فلنظر كينوأ إلى أسفل نحو رأس كينوأ الذي كان ملتبسا لرق
فخذ جواردا . وقال له عقله أن ذلك الولد يعرف في يوم ما الأشياء
التي كانت موجودة بالكتب والأشياء الأخرى التي لم تكن موجودة
بها.

وكانت الموسيقى قد خرجت من رأس كينوأ وتكن بدأت تدب
في تلك اللحظة في خفوت وبطء نغمة الصباح وموسيقى القمر
وموسيقى العذراء إلا أنها كانت خافتة وضعيفة .. فلنظر كينوأ إلى
جيرانه لكي يعرف من الذي جلب هذه الأغنية إلى هذا المكان .

إلا أن القسيس كان يتحدث مرة أخرى فقال: لقد قيل لي أنك
قد عثرت على ثروة هائلة . عثرت على لؤلؤة عظيمة! .

ففتح كيتو يده وأظهرها للعيان . فشهق القسيس قليلا لدى رؤيته
الؤلؤة الجميلة ذات الحجم الكبير . وقال : «أمل أن تتذكر أنه ينبغي
عليك يا بني أن تقدم الشكر لله سبحانه وتعالى الذي منحك هذا
الكثر . . وأن تصلي لله لكي يمدد خطاك ويلهمك الإرشاد مستقبلا .

فأوما كيتو برأسه في صمت أبكم . وكانت جوانا هي التي
تكلمت في رقة : «سلفن ذلك أيها الأب القسيس . ولمواف تنزوج
الآن! .»

ثم نظرت إلى جيرانها لكي يقرؤا ذلك فأومأوا برؤوسهم في جد
ووقار .

فقال القسيس : «لله لمن يواعى الضرور أن يرى أن أفكارهم
الأولية هي أفكار حسنة . بارك الله فيكم يا أطفالي .»

ثم استدار وغادر المكان في هدوء وأصبح الناس له الطريق .

ألا أن يد كينو أطيقت في أحكام مرة أخرى على اللؤلؤ وبدأ
ينظر نظرات سريعة فيما حوله في شيء من الشك لأن أغنية القمر
بدأت تدب في أذنيه وراحت تدوى في عتف متضاد مع موسيقى
اللؤلؤ.

وبدا الناس ينزلون منحرفين إلى منازلهم وجلست جوانا
القرفصاء بجوار النيران ووضعت أناءها القحاري الخاص بالقول
المطلى فوق ألسنة اللهب الصغيرة، وخطا كينو خطوة إلى المدخل
ونظر إلى خارج المنزل، وكما يحدث دائما كان باستطاعته أن يشم
رائحة الدخان المترامية من النيران العديدة كما كان بمقدوره
مشاهدة النجوم المحاطة بضباب رقيق مع الأحساس برطوبة هواء
الليل، حتى أنه غطى أنفه ليجني نفسه من الرطوبة، وجاء التكب
الحبل إليه وهز نفسه محبباً مثل علم تذروه الرياح، فتنظر كينو
نحوه ولم يشاهده بوضوح، وكان قد اختلق الأفاق نحو البرد
ومشاعر الوحدة بالخارج، ودبت في أوصاله مشاعر الوحدة
والاكتئاب وشعر أنه بدون حماية.

وبذا على الصراخ والزحقة وصفادع الأشجار لعادة الصوت
وصفادع الجبال البسامية التي تلت بصوتها الأجرى وكأنها جميعا
تعمل نغمة أغنية الشر.. وأرتعد كثير وجذب بطائفة في مزيد من
الأحكام حول أنفه. وكان يحمل اللزوة في يده وقد أطبق عليها في
مزيد من الأحكام في راحة يده وكانت نافذة وناعمة على بشرة
يده..

وخلفه سمع جواتا وهي تربت على اللطائر قبل أن تضعها فوق
لوحة انطوى الصلصالية. وأحس كثير بكل دفء وأمن عائلته خلفه
وبهات أغنية العائلة من وراءه مثل تعزيم قطعة صغيرة. ولكنه
الآن ومن خلال قوته ماذا سيكون عليه مستقبله، قد خلق مستقبله..
فالأخطأ هي شئ حقيقى والأشياء التي توضع لها خطط تدخل في
نطاق التجربة. والأخطأ ما أن يتم وضعها وتخليها حتى تصبح
حقيقة شأنها شأن باقي الحقائق الأخرى.. لا تتعرض للدمار على
الأطلاق ولكن يسهل تعرضها للهجوم. ولذلك فإن مستقبل كثير
كان أمرا حقيقيا ولكنه ما أن شود مستقبله حتى انطلقت قوى أخرى
لتهدم هذا المستقبل.. وهذه حقيقة كان يدركها تماما حتى أنه كان
عليه أن يستعد لمواجهة الهجوم.

وكان كيتو يدرك أيضا هذه المعلومة؛ وهي أن الآلهة لا تحب
خسوط الرجال وأن الآلهة لا تحب النجاح التهم إلا إذا جاء بطريق
المصادفة. كان يدرك أن الآلهة تنتقم من الإنسان إذا حقق نجاحا
من خلال جهوده الخاصة. ولذلك فقد كان كيتو خائفا من الخسوط،
ولكن نظرا لأنه قد وضع بالفعل خطة ذاته لم يكن بمقدوره على
الاطلاق ذميرها. ولكي يواجه كيتو الهجوم ذاته شرع بالفعل في
خلق بشرة صلبة لنفسه في مواجهة العالم. وراح ذهنه وعينه
تسيران الأغوار بحثا عن المخاطر قبل ظهورها.

وبينما كان واقفا عند فتحة الباب شاهد رجلين يقتربان. كان
أحدهما يحمل فانوسا يضيئ الأرض وسبق أن الرجلين. وانعطفا إلى
داخل تلك الفتحة الموجودة بالسور الخاص بكيتو ووصلا إلى بابيه..
ولم يدرك كيتو أن أحدهما كان هو الطبيب والآخر هو الخادم الذي
فتح البوابة في الصباح. وعندما عرف كيتو شخصيتهما لتحت
مفاصل أصابع يده اليمنى المشقوقة.

قال الطبيب: «لم أكن موجودا بمنزلي عندما جئت إلى في
هذا الصباح، ولكني قد جئت لك الآن مع أول فرصة سانحة لي
لأكشف على الطفل الرضيع».

فطفل كبشو واقفا وقد سد فتحة الباب بينما الكراهية تختدم
وتشتعل في مزخرة عينية، والخوف أيضا، لأن مذات أسلين من
الاحضاع والاستعداد قد أحدثت جرحا غالرا في داخل كيانه .

فقال في اهتصاب : الطفل الآن في حالة جيدة تقريبا .

فانقسم الطبيب ولكن عينية لم تينسما .

وقال : أحيانا باصديقي تكون لدغة العقرب آثار غريبة . إذ
يحدث أحيانا تحسن ظاهري بعدد وبطريقة فجائية تماما .
بوفاء وضم شفوية وأحدث انفجارا مديا بعض الشيء لكي يبين
له كيف يمكن أن يحدث ذلك الأمر بسرعة كبيرة ثم غير من
مكان حقيقته الطبية السوداء الصغيرة لكي ينسقط عليها ضوء
المصباح لأنه كان يدرك أن التحسن البشري الخاص بكيلو يحب
آلات وأدوات أي صنعة ويثقون فيها . واستمر الطبيب قائلا في
نغمة لطيفة : أحيانا ينجم عن لدغة العقرب ساق ثابتة أو عين
مكفوفة أو ظهر متجدد . أو ، قانا باصديقي أعرف لدغة العقرب
والستطيع أن أعالجها .

وأحرى كينو بالغضب والكراهية وهم يتراجعان ويذويان أمام
الخوف. فهو لم يكن يعرف وربما كان الطبيب يعرف. ولم يستطع
أن يصنع جهله الأكيد في مواجهة المعرفة المحتملة لهذا الرجل.
لقد نصبت له لشرارك مثلما وقع أهاليه نائما في المصايد ولمسوف
يخلون كذلك إلى أن يثأروا من أن الأضياء الموجودة بالكذب كانت
موجودة بالفعل في الكتب مثلما قال ذلك من قبل.

لم يكن باستطاعته أن يقامر. فالمقاهرة لا تكون مع الحياة أو
مع استقامة كويو تيلو. فوقف على جانب مفسحا مكانا وسمح
للطبيب وللرجل بالدخول إلى كوخه المصنوع من الأغصان.

نهضت جواتا واقفة وتركت الذيران وتراجعت للنوراء بعيدا
عندما دخل الطبيب إلى الكوخ وغطت وجه الطفل للرضيع
بحاشية شائها. وعندما اتجه الطبيب إليها باسطا يده، أمسكت
بطنها في لحكام ونظرت إلى كينو الذي كان واقفا بينما ظلال
النيران تغتزل على وجهه.

أوماً كبيراً برأسه، وعمل ذلك فقط سمحت جوانات الطبيب بأن يأخذ
الطفل للرضيع.

وقال الطبيب: «أمسك الغافوس» .. وعندهما رفع الغافوس الغافوس
إلى راح الطبيب ينظر للحظات إلى الجرح الموجود فوق كتف
الطف. وظل يفكر لحظات قليلة وبعد ذلك قلب جفن عين الطفل
ونظر إلى مقلة العين. ثم أوماً برأسه بينما كان كوبر يتنهد يقاومه.

وقال: «الأمر كما توقعت. فقد تغفل السم إلى داخل الجسم
وسرعان ما سيمزج من ريشته. تعالى وانظر بنفسك» .. وأمسك
بجفن العين وقال: «انظر.. أنه أزرق اللون» .. فنظر كبير في قلب
وأدرك أن جفن العين يعين إلى اللون الأزرق بعض الشيء. ولم يكن
يعرف ما إذا كان ذلك اللون الأزرق الخفيف موجوداً دائماً في جفن
عين الطفل من عدمه إلا أن الفخ قد نصب. ولم يكن بمقدوره أن
يقاوم.

وامتلأت عين الطبيب بالدموع وقال: «بأسعديه شيئاً ما في
محاولة لطرد السم من جسده» .. ثم أعطى الطفل كيبو.

واستخرج من حقيبته زجاجة صغيرة بها مسحوق أبيض
وكبسولة جهلانيين. وملأ الكبسولة بالمسحوق ثم أغلقها، ثم ملأ
كبسولة ثانية بالمسحوق وأغلقها ثم راح يعمل في رشفة شديدة.
وامسك بالطفل الرضيع وقرب من شفته السفلى إلى أن فتح فمه.
ورفعت أصابعه الممتلئة الكبسولة إلى الداخل بعيدا فوق لسان
الطفل، بعيدا في مكان بحيث لا يمكنه أن يهضم المسحوق ثم
ألتقط من فوق الأرض الأبريق الصغير المليء بعصير التوت
ولعلى كوير تيتو جرعة من ذلك العصير، ثم أجاز الأمر، ثم
نظر مرة أخرى إلى مقلتي عيني الطفل الرضيع وبعدئذ زم شفتيه
وبدا عليه كأنه يفكر.

وفي نهاية الأمر أعاد الطفل إلى جوانا ثم التفت إلى كينو
وقال: «أعتقد أن السم سوف يهاجمه في ساعة». واستطرد:
«والدواء قد يلقط الطفل من الأذى ولكن سأجرب اليكم في خلال
ساعة. وربما أكون قد جئت في الوقت المناسب لكي أُنقذه». ثم
أخذ نفسا عميقا وسار خارجا من الكوخ فتحبه خادمه ممسكا
بالقائوس.

والآن كانت جولنا قد وضعت الشاة تحت مظها وراحت تهملق فيه في قلق وخوف. وجاء اليها كبتو ورفع الشاة وحملق في الطفل الرضيع. وهرك يده لكي ينظر تحت جفن العين وعندئذ فقط أدرك أن اللؤلؤة كانت لأتزال موجودة في يده. وبعدئذ اتجه إلى صندوق جول الحائط وأخضر منه قطعة صغيرة من القماش الباني. وغلف اللؤلؤة في الخرفة البالية ثم ذهب إلى ركن المنزل المصنوع من الأغصان وحفر حفرة بأصابعه في الأرضية الفترية ووضع اللؤلؤة في الحفرة وغطاها ولحقى المكان. وبعدئذ ذهب إلى نيران حيث كانت جولنا تجلس القرفصاء وترقب وجه الطفل.

وبعد أن عاد الطبيب إلى منزله استقر في كرسيه ونظر إلى ساعته. وأخضر له أهاليه عشاء بسيطاً يتكون من الشيكولاته والكعك الحلو المذاق والفواكه. وحملق هو في الطعام في استياء.

وفي منازل الجيران بدأ التطرق إلى المصنوع الذي سبب سبب كآلة المناقشات والمعانجات لفترة طويلة.

راح الجيران يتحدثون مع بعضهم البعض ، ويرى بعضهم كيف أن اللؤلؤة كانت متخمة للغاية ، مستخدمين أصابع الأبهام لتعبير عن ذلك وكانوا يقومون ببعض حركات التذليل والمداعبة ليعبروا عن مدى جمال اللؤلؤة ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدا كانوا سارقون كبلى وجوانا مراقبة وثيفة بىروا ما اذا كانت الثروات والغنى قد أنارت رأسيهما مثلما تدير الثروات رؤوس كافة الناس .

كان كل شخص يدرك السبب الذى جعل الطيب يجيئ بنفسه إلى الكوخ . لم يكن الطيب ليقا فى اظهار النفاق ، ولذلك فقد فهم الجميع حركاته جيدا .

وفى الخارج عند المصب الخليجى للنهر تلالا سرب من الأسماك الصغيرة المنسوج باحكام وحطم المياه لكى يهرب من سرب من الأسماك الكبيرة المتدفعة لكى تأكلها .. وفى داخل المنازل كان باستطاعة الناس سماع الطرطشة الواثية الخاصة بالأسماك الكبيرة مع استمرار مجزرة القتل والنهج .. وتصاعدت الرطوبة من الخليج وترسبت فوق الشجيرات ونباتات الصحار وفوق الأشجار الصغيرة على هيئة قطرات مالحة وزحفت فى الليل هنا

وهناك فوق الأرض، وراحت صفور الليل الصغيرة تصطاد الثقلان وتأكلها في صمت.

وجاء الكلب الصغير النحيث الأسود اللون والذي له نقاط بيون الشهب فوق عينيه إلى باب كينو وألقى نظرة إلى داخل المنزل. وكاد الكلب أن يخلع الجزء الخلفي من جسده بسبب كثرة الاهتزاز عندما ألقى كينو نظرة خاطفة عليه ثم هدأت توتراته عندما أضح كينو يبصره بعيدا.

لم يدخل الكلب المنزل إلا أنه راح يرقب في اهتمام محموم بينما كان كينو يأكل للفور من الوعاء القحاري الصغيرة ويمسح الوعاء تماما بفطيرة من القمح، ثم يأكل الفطيرة، ثم يدفع أخيرا بالماكولات إلى داخل جوفه بأن تناول جرعة من شراب البثكة.

وانتهى كينو من تناول الطعام وبينما كان يلف سحابة سمع جونا نادى عليه في حدة «كينو..» فنظر إليها نظرة عاجلة، ثم نهض واقفا وذهب إليها بسرعة لأنه شاهد الرعب ماثلا في عينيها، ووقف إلى جوارها وراح ينظر باعمان إلا أن الضوء كان

معهما للغاية. فركن بقدمه كومة الأغصان ملقيا بها إلى حفرة
التبران لكي يحدث اشتعالاً. وعندئذ تمكن من مشاهدة وجه كوبر
قيئراً. كان وجه الطفل محتقناً باللون الأحمر، وكان حلقه يتحرك
واللعاب الكثيف ينساب من شفتيه. لقد بدأت تشنجات عضلات
المعدة وأصبح الطفل الرضيع في حالة من المرض الشديد.

ورجع كينو بجوار زوجته وقال: «الآن كان الطبيب يعرف
ذلك... ولكنه قال هذه العبارة لنفسه مثلما قالها لزوجته، لأن عقله
كان ناشفا وصلباً وشكاكاً.

وراحت جوارنا تتمايل من جانب لآخر وتغلي في أنين بأعنية
العائلة الصغيرة كما لو كان ذلك سيؤدي إلى إزالة الأخطار، وثقياً
الطفل وتلوى بين ذراعيها وعنده ذب عدم اليقين في داخل كيان
كينو. وخلفت موسيقى الشر في رأسه وكادت تعلو أظية جوارنا.

وانتهى الطبيب من تناول كوب الشيكولاته وراح يقضم المقطع
الصغيرة المتماقطة عن الكعكة العلوة للمذاق. ثم مسح أصابعه
بفوهة سفرة صغيرة ونظر إلى ساعة يده ونهض وأمسك حقيبته
الصغيرة.

وانتشرت أتياء مرض الطفل الرضيع بسرعة بين المنازل
المصنوعة من الأغصان، لأن للمرض يعتبر العدو الثاني للناس
انقراء أما عدوهم الأول فهو الجوع.

وقال بعض الناس في هدوء: «إن الحق، كما نرون،
يجلب معه الأصدقاء النذودين». ولومأوا برؤسهم ونهضوا لكي
يتوجهوا إلى منزل كيتو. وهزول الجيران مسرعين وقد غطوا
أنوفهم عبر الغلام إلى أن تجمعوا في منزل كيتو مرة أخرى.
وقوفوا وحملوا وأدلووا بتعليقات قليلة عن الحزن الذي يقحم نفسه
عادة في لوقات البهجة والسعادة. وقالوا: «كل شيء بإرادة الله».

وجلست النساء المسنات للقرفصاء بجوار جوانا في محاولة
لتقديم المساعدة لها أن أمكن ومواساتها في حالة عدم التمكن من
مساعدها.

وبعدئذ دخل الطبيب مسرعا إلى المنزل ودخل خادمه وراءه.
وبعثر الطبيب النساء المسنات مثلما يبعثر الدواجن. وأمسك بالطفل
ونحسه ونحس رأسه. وقال: «لقد عمل النعم منعه». واستطرد:

واعتقد أن بإمكانى هزيمة العم والقصاء عليه . سأبذل كل ما فى
وسعى .

وطلب أن يحضروا له ماء . ووضع فى فئجان من الماء ثلاث
فطرات من الامونيا وفتح قم الطفل الرضيع وصب فى فمه الماء .
وتقبى الطفل وغمغم وأطلق صرخات الذعر والألم أثناء معالجة
الطبيب بينما كانت جوارنا ترقبه بعينين ملوحتين بالقلق الشديد .

وتكلم الطبيب قليلا أثناء تأديته لعمله ، قال : امن حسن العظ
أبنى أعرف كل شئ عن سم العقارب والا..... وهز كتفه
ليوضح ماأنا كان يمكن أن يحدث .

الا أن كيدو كان مليئا بالمشك . ولم يستطيع أن يبعد عنه عن
حقيقة الطبيب المفتوحة وعن زجاجة المصعوق الأبيض الموجودة
هناك . وهذأت التشنجات تدريجيا واسترخى الطفل تحت يدي
الطبيب . ثم تنهد كبرير تفتو فى عمق واستسلم للنوم لأنه كان مرهقا
بسبب القي .

ووضع الطبيب العلف للرضيع في يدي جوارنا وقال: «سوف
يتحسن الآن». واستطرد: «لقد كسبت المعركة، فظهرت إليه جوارنا
في الفلجان وتقدّيس».

وكان الطبيب آنذا يغلق حقيبته. وقال: «نسى مستطبع نفع
قيمة هذه الفاتورة على ما يُظن؟» وقال تلك العبارة في شيء من
العطف والحنان.

«سأدفع لك أجرك بعد أن أبيع اللؤلؤة»..

فأساءل الطبيب في اهتمام: «أنديك لؤلؤة؟ أهى لؤلؤة
جميلة؟»

وعندئذ جاء صوت الجيران مثل الكورس. قالوا صالحيين:
«لقد عثر على لؤلؤة العالم». وضموا إصبع الابهام ليعبروا عن
الحجم الكبير للؤلؤة. وقالوا في اصطحاب: «لها لؤلؤة لم يشاهد أحد
مثلا لها».

وتظاهر الطبيب بأنه يشعر بالدهشة البالغة وقال:
«والى لم أسمع عن هذا الخير. وهل أنت تحتفظ بهذه اللؤلؤة في

مكان أمين؟ وثربما تكون لديك الرغبة في أن أضعها لك في
خزيتي؟»

كانت عينا كينو محجبتين في تلك الآونة وكانت وجفناه
مشدوتين في احكام. وقال: «أننى أضعها في مكان آمن» وأضاف:
«ولسوف أبيعها غدا ويعدتذ أقدم لك أجزك وأسدد مستحقائك»

فهز الطبيب كتفيه في لامبالاة ولم تترك حياء الطبيبان
بالسوائل عيلى كيدو على الإطلاق. كان يدرك أن اللؤلؤة ربما
تكون مدفونة في المنزل وأعتقد أن كيدو ربما ينظر تجاه المكان
الذى دفنت فيه اللؤلؤة.

وقال للطبيب: «لته تمن العار أن تصنع اللؤلؤة قبل أن تتمكن
من بيعها». وعندئذ شاهد عيتى كيدو وهما ترفرفان بسرعة
وبشكل لا ارادى نحو أرضية المكان بالقرب من العمود الجانبي
للمنزل المصنوع من القش.

وبعد أن انصرف الطبيب وانصرف كافة الجيران وعادوا إلى
منازلهم بدون أن تكون لديهم الرغبة في ذلك، جلس كينو

اتقرفصاء بجوار قطع الفحم الصغيرة المتوهجة في حفرة الخيران
وراح يصغى لصوت الليل وصوت الاكتساح الهادئ المترامى عن
الأمواج الضئيلة على الشاطئ وصوت الكلاب الذابحة من مسافة
بعيدة .. وزحف النسيم خلال سقف المنزل المصنوع من الأغصان،
كما ترامت إلى سمعه الأصوات الخافتة المذبذبة من جيرانه
القابعين بمنازلهم بالمقرية . لأن أولئك الناس لا ينامون نوما صميحا
طوال فترات الليل ، فهم يستيقظون على مزاحل ويلهثون قليلا ثم
يلجأون لقوم مرة أخرى . وبعد مرور بعض الوقت نهض كثير واظنا
ونهب إلى باب منزله .

وراح يشم النسيم ويصغى لأي صوت غريب من أصوات
الزحف والتخفى .. وراح عيناه تفتشان في الظلام لأن موسيقى
الشرك كانت تدق في رأسه فأصبح ضاربا ومفترسا وخائفا . وبعد أن
سبر لغوار الليل بكافة حواسه اتجه إلى المكان المرجود بجوار العمود
الجانبى الذى دفن فيه اللؤلؤة وراح يحفر ، واستخرج اللؤلؤة
وأحضرها إلى حصيرة نومه وتحت حصيرة النوم راح يحفر حفرة
أخرى في تراب الأرضية ثم دفن لؤلؤته وغطاها بالتراب مرة
أخرى .

وأخذت جوانا العالسة بحوار حفرة التيران ترقبه بعيون متسائلة، وبعد أن أنهى من دفن اللؤلؤ تسامعت: «من هو الذى تخاف منه؟»

ويحدث كينو فى ذهنه عن اجابة صادقة ثم قال أخيراً: «أخاف من كل شخص». وكان يشعر بصدفة من الصلابة تقترب منه وتطبق عليه.

وبعد انقضاء بعض الوقت استلقى مع زوجته فوق حصيرة النوم. ولم تضع جوانا للطفل الرضيع فى صندوقه فى تلك الليلة واقفاً وضعت فى مهد بين ذراعيها وغطته بشال رأسها. وانطفأ الضوء الأخير للجمرات فى حفرة التيران.

الا أن ذهن كينو كان يتحرق ويشعل حتى أثناء النوم وشاهد فى الحلم أن كوير يتحدث بعرف القراءة ورأى فى الحلم أن أحد أهاليه يستطيع أن يعرف حقيقة الأشياء. وفى الحلم الذى شاهده، كان كوير يتحدث يقرأ فى كتاب ضخم وكبير مثل المنزل والجروف فى نفس حجم الكلاب والكلمات تجرى وتعدو وتلعب فوق الكتاب.

وبعدئذ انتشر الظلام فوق الصفحة ومع الظلام نصاعدت
موسيقى الشر مرة أخرى. وتحرك كيتو في هَلَق أثناء نومه. وعندما
تحرك فتحت جوارنا عينيها في الظلام. وبعدئذ استيقظ كيتو بينما
موسيقى الشر تبصر في داخل كيانه وظل مستيقظا في الظلام بينما
كانت ألتاء في حالة تيقظ شديد.

وبعدئذ ومن ركن المنزل تراسي صوت خافت للغاية حتى أنه
بدأ وكأنه مجرد فكرة. حركة مخلصة صغيرة لمسة قدم فوق
الكراب، خرخرة تنفس متضخمة لا تكاد تسمع. وكنم كيتو لتقاسه
وراح يصغي، وكان يدرك أنه أنا كان هناك شخص ما متوازي
نعت طيات للظلام فلا بد أن يكون هو الآخر قد جهى أنطاسه لكي
يصغي أيضا!

ومن بعض الوقت دون أن يدرك أي صوت على الإطلاق من
ركن المنزل المصنوع من الأغصان. وربما كان كيتو قد اعتقد
عندئذ أنه تخيل سماع الصوت إلا أن يد جوارنا جاءت زاحفة فوقه
لتحذره وبعدئذ تراسي الصوت مرة أخرى؛ هممن قدم فوق
الأرض الجافة وخريشة أصابع في التربة.

وهنا ما ج صدر كينو بخوف مسعور، وجاء الغضب بعد الخوف
مثلما كان يحدث له دائما، وزحفت يد كينو إلى داخل صدره حيث
كانت المدية الخاصة به معلقة في حبل. وبعدئذ قلز مثل قط
غاضب، قلز ضاربا وباصفا وعاضا في اتجاه الشيء الأسود الذي
كان يبدو متحركا في ركن المنزل، وأحس بقماش وطعن القماش
يسكنه ولكنه أخطأ ولم يصب الهدف فطعن مرة أخرى وشعر
يسكنه وهي تخترق القماش وبعدئذ تحطمت رأسه وومض يريق
في ذهنه وتفجرت رأسه بالآلام شديدة. وكان هناك عدو وجري
سريع وخالت عند المدخل ووقع أقدام تجرى لبعض الوقت ثم ساك
الصمت المطبق.

وشعر كينو بدماء داغثة تسيل من جبهته، وكان بمقدوره سماع
جوانا وهي تنادي عليه اكينوا اكينوا وكان هناك رعب شديد في
صوتها. وبعدئذ هبط عليه هدوء وبرود شديد بسرعة كبيرة وبطس
للمرعة التي هبط بها الغضب عليه. ثم قال: اننى على ما يرام،
لقد انصرف ذلك الشيء.

ويشمن طريقه عددا إلى حصيرة للنوم وكانت جوانا قد شرعت في العمل في النيران . فكشفت عن الجمرات وأزاحت عنها الرماد ومزقت قطعة صغيرة من قشور القمح فوق النيران ، ونطخت إلى أن تصاعدت المسنة صغيرة من النيران في قشور القمح فتراقص ضوء خافت في أرجاء الكوخ . ويعدنذ أحضرت جوانا من مكان عري قطع صغيرة من شمع مكرسة لغرض نهيئ وأشعلتها عند النيران ووضعها في اعتدال فوق حجر خاص بالموقد . وراحت تعمل بسرعة وتدفن وتكفي بصوت رقيق خفيض لدى تحريكها هذا وهناك . وغمست طرف شال رأسها في الماء وشرعت في مسح الماء من فوق جبهة كيئو لمصابة بالجروح والتكدمات .

وقال كيئو : الجروح بسيطة للغاية . . إلا أن صوته كان رائدا ، وكانت عذاه متجربتين وخاليتين من العاطفة . وكانت الكراهية والكأبة تصاعدان في داخله .

والآن فإن التوتر الذي كان قد أخذ في التكون في داخل كيئو جوانا بدأ يغلي ويفور ويظهر على السطح وأصبحت شففاها

رفيعتين، وصاحت في حدة: «هذا الشيء هو الشر...
واستطردت: «وهذه اللؤلؤة تشبه القطيفة! انها ستؤتى إلى
تدميرنا!... ثم ارتفع صوتها في مزيد من الحدة: «التي بها
بعيدا يا كيدو. تخلص منها. هيا بنا نحلمها بين الحجارة هيا بنا
نلقنها في مكان وننسى ذلك المكان. هيا بنا نلقها في البحر. فقد
جلبت علينا الضر. يا كيدو يا زوجي العزيز انها ستلحق بنا الدمار
وتحت ضوء النيران كانت شقاها وعيناها ممتلئة مع خوفها.

«لا أن وجه كيدو كان جامدا وعقله مصمما وإرادته عنيدة.
قال: «هذه هي قرصتنا الوحيدة. وينبغي أن نذهب أبنا إلى
المدرسة. وينبغي أن يخرج من الرعاة الذي يحترقنا في داخله.

فصرخت جواتا: «انها ستحلمنا نحن جميعا... واستطردت:
«بل وستحلم أبنائنا.

فقال كيدو: «التزمي بالصمت. لا تقولي أى كلام آخر. سبيع
للؤلؤة في الصباح وعندئذ سيكون الشر قد ذهب إلى غير رجعة.
ولا يبقى حينئذ إلا الخير. والآن اسكني يا زوجتي!.

وتنظرت عيناه السوداوان في عبوس إلى النيران الصغيرة ..
وقول مرة يدرك أن سكبته مازالت موجودة في يديه فرفع نصل
السكين ونظر إليه وشاهد خطا رفيعا من الدماء فوق ذلك الجزء
الفلاذى من السكين. وكان على وشك أن يمسح الدماء من نصل
السكين في بطلونه ولكنه غير رأيه وغمس السكين في التراب وتم
التنظيف بهذه الطريقة.

وبدأت الديوك النائية في الصباح وتغير الهواء، وبدأ الفجر يذب
في الكون، وعكزت رياح الصباح المياه عند مصب النهر، وهبت
بين أشجار المنجروف الاستوائية، وضربت الأمواج الصغيرة فوق
الشاطئ المليء بقنص الحجارة في إيقاع متزايد. ورفع كيتو حصيرة
النوم وجلس في الأرض واستخرج اللؤلؤ ووضعها أمامه وحمق
فيها.

وراحت اللؤلؤ الجميلة تتغامز وتلمع وتكلاأ تحت ضوء الشمعة
فأحدث جمالها نوعا من الخداع في داخل ذهن كيتو. كم كانت
جميلة للغاية ومحببة للنفس، ورفيعة للغاية وكانت الموسيقى
الخاصة بها تليق من داخلها .. موسيقى بشار النجاح والبهجة
والسعادة وسمان المستقبل والراحة والأمن والأمان.

كان اشراقها اندافى وشعافيتها اندافلة هي كعادات ضد
للمرض، وهي جائط مدبج ضد الاهانة وهي قد أغلقت بابا لمن
يدخل منه الجوع.

وبينما كان كيدر يعملق في اللؤلؤة فترت عيناه واسترخى
وجهه. وكان باستطاعته مشاهدة الصورة الصغيرة للشعلة المكرسة
معلقة على السطح الرقيق للؤلؤة وسمع في لذنيه مرة أخرى
للموسيقى الحبيبة الخاصة بما هو تحت سطح البحر، وتغمة للصنوبر
الأخضر المنتشر الخاص بقاع البحر، وبينما كانت جوانا تراقبه سرا
رئته وهو يبتسم ولأنهما كانا على نحو ما كيانا واحد وهذا واحدا
لقد ابتسمت معه.

وافتتحا هذا اليوم بالأمل،

الفصل الرابع

الطريقة التي تراقب بها أية مدينة صغيرة نفسها بالإضافة إلى مراقبة كافة الواجبات الداعية لها تعبير من الأمور المثيرة للدهشة. فلو أن كل رجل وكل امرأة وكل طفل صغير يتصرف ويرشد نفسه في نطاق نموذج معروف، ولا يحطم أية حواجز، ولا يلجأ خلافات مع أحد، ولا يدخل في تجربة، ولا يكون مريضاً ولا يعرض للخطر هدوء العقل أو سلامة الذهن أو التدفق السلس الثابت للعديده، عندئذ فإن تلك الوحدة يمكن أن تخطى ولا يسمع عنها على الإطلاق.

ولكن دع رجلاً واحداً يخرج عن الفكر للمألوف، أو عن النموذج للمعروف والموثوق فيه، عندئذ فإن أعصاب رجال المدينة تنوى

وتغور بالقلق والتوتر وتتناقل الرسالة الشفوية عبر خطوط أعصاب
المدينة عندئذ تجري كل وحدة اتصالاتها مع الكيان الكلي.

وبذلك ففي مدينة الأبار، أصبح من المعروف في الصباح
الباكر في جميع أرجاء المدينة أن كينوسيبيع لؤلؤته العظيمة في
ذلك اليوم، وكان ذلك معروفا بين الجيران في الأكواخ المصنوعة
من الأغصان وبين مبادي اللآلئ وكان معروفا بين أصحاب
محلات البقالة الصينيين، وكان معروفا في الكنيسة لأن أولاد
هيكل الكنيسة كانوا يتهامون عن هذا الموضوع، بل وصلت أنباء
عن هذا الموضوع إلى الراهبات، كما تكلم الشحاذون الواقفون أمام
الكنيسة في هذا الموضوع لأنهم سيحصلوا على جزء من مربية
العشور^(١) من أولى ثمار هذا الحظ السعيد. وكان الأولاد الصغار
يعرفون أيضا ويشعرون بالاثارة البالغة، وفوق كل ذلك كان
المشكرون للآلئ يعرفون الخبر.

(١) مربية العشور: ميثاق لقانون التوراة.

وعندما جاء اليوم جنس كل رجل مسئولا عن مكاتب المشتريين
للآلى بعفده مع للصيتية الصغيرة المصنوعة من القطيفة السوداء
الخاصة به، وراح كل رجل يدهرج الآلى هنا وهناك بطرف
أسبعه ويقتكر في دوره في هذه الأعمال التجارية.

كان من المفروض أن يكون المشترون ثلوثا بمثلية أفراد يعمل
كل منهم مستقلا عن زميله وبضاريون ويزايدون هنت بعضهم
البعض من أجل الحصول على الثلوث الذي يحضره الصياديون.
وكان الأمر يسير على ذلك النحو ذات يوم. إلا أن هذه الطريقة
كانت تؤدي إلى تبذير الكثير الأموال، لأنه غالبا ما كانت تدفع
أموال هائلة للغاية للصيادين بسبب الزيادة على لؤلؤة جميلة.
فكان هذا تهديرا بتعذر مقاومته. أما الآن فليس هناك سوى مشتري
واحد للؤلؤ، ولديه العديد من المدورين العاملين عنده، ولذلك كان
الناس الجالسون إلى مكاتبهم وينتظرون مجيء كثير البهم، يعرفون
للشحن الذي سيعرضونه عليه ويعرفون مدى الارتفاع الذي
سيصلون إليه في السعر عند الزيادة، ويعرف كل واحد منهم
للسيلة التي سيستخدمها.

وبرغم أن هؤلاء الرجال لا يكسبون شيئاً بخلاف مزاياهم، إلا أنه كانت هناك مشاعر الأثرة التي تدب بين المشتريين للؤلؤ، لأنه كانت هناك اثرة في الصدد، فإذا كانت مهمة رجل أن يعمل على تخفيض السعر، فإنه لابد أن يشعر بالبهجة والارتياح الشديد إذا تمكن من تخفيض السعر إلى آخر حد ممكن. لأن كل شخص في العالم يعمل على قدر طاقته، ولا أحد يفعل أقل من قصارى جهده بغض النظر عن وجهة نظره في الأمور، وبغض النظر عن أية مكافأة يمكنهم الحصول عليها، وبغض النظر عن أية كلمة مديح وعن أية ترقية، فإن مشتري اللؤلؤ هو مشتري اللؤلؤ ولقصص وأحسن وأبعد مشتري لؤلؤ هو ذلك الذي يقال من أهل التوصل بالسعر إلى أقل سعر ممكن.

كانت الشمس صفراء ساخنة في ذلك الصباح فسحبت الرطوبة من مصب النهر ومن الخليج وعلقتها في سحابات ترمض بالمدان خفيف في الهواء، حتى أن الهواء كان يتجنب، وكانت الرطوبة غير واضحة. وتعلقت رطوبة في الهواء إلى الشمال من المدينة... الرطوبة الخاصة بجبل كان يقع على مسافة تزيد على ٢٠٠ ميل، وكانت

المحدرات العالية لهذا الجبل مزينة بأشجار الصنوبر، وكانت قمة
الحجرية الهائلة ترتفع فوق خط الأشجار.

وكانت القوارب في صباح هذا اليوم ترتد في صف فوق
الشاطئ إذ لم يخرج الصيادون لكي يقوموا بأعمال القطر بحثاً
عن اللؤلؤ، لأن الأحداث ستكون هائلة حيث سيتمكن المرء من
مشاهدة أمور كثيرة عندما ينهب كينو ليبيع اللؤلؤ الهائلة!

وفي المنازل المصنوعة من الأغصان المتناثرة بجوار الشاطئ
جلس جيران كينو لفترة طويلة وهم يتناولون طعام الإفطار،
وتحدثوا عما كانوا سيفعلونه لو أنهم هم الذين عثروا على اللؤلؤة.
فقال أحد الرجال أنه كان سيفتحها كهدية للأب للمقدم في روما.
وقال آخر أنه سيشتري قداسات لأرواح عائته على مدى ألف
سنة.. وقال آخر أنه سيأخذ النقود ويوزعها على أهالي الفقراء في
مدينة لايازا. والشخص الرابع فكر في كافة الأمور الطيبة التي
يمكن أن يفعلها المرء بالنقود التي يحصل عليها من وراء بيع
اللؤلؤة. فكر في كافة أنواع الصدقات والاحسان، وكافة المنافع
وجميع حالات الانقاذ التي يمكن أن يقوم بها المرء إذا كان لديه

نفوذ . وتمنى كافة الجيران ألا تدير الثروة الفجائية رلى كبلو،
وتمنوا ألا تجعل منه رجلا غنيا، وتمنوا ألا تزرع فى كفاكه أعضاء
شريرة: مثل الشراهة والكراهية والفتور.. لأن كيفو كان رجلا
محبوبا من الجميع ومن أعمار أن تدمر اللؤلؤة شخصيته المحبوبة.
وقالوا: «وليك الزوجة المعقاة جوانا.. وذلك الولد الجميل كويوتيتو
وغیره من الأطفال الآخرين الذين سيجيئون فيما بعد فهؤلاء جميعا
لذا حطمهم اللؤلؤة سيصبح ذلك أمرا يدعو للترثاء والأسف
الشديد».

وبالمناسبة لكيو وجوانا كان هذا هو أهم صباح فى حياتهما. ولا
يمكن أن يقارن إلا باليوم الذى ولد فيه الطفل. كان هذا سبب
اليوم الذى تأخذ عنه كافة الأيام الأخرى ترتيبها. فيقولان مثلا:
«لقد حدث هنا قبل أن تباع اللؤلؤة بعامين، أو يقولان: لقد حدث
هذا بعد أسبوعين من بيع اللؤلؤة».

وبعد أن تحدثت جوانا ذلك الأمر ألقت بتعبيراتها للرياح
وألست كويوتيتو الملابس التى كانت قد أعنتها من أجل تعميده.
عندما تتوقر النفود اللازمة لتعميده. ومشتت جوانا شعرها

وصفرتة وربطت النهايات بعقدتين من الشريط الأحمر، كما
أرتنت جولة زواجها وصديقية زواجها.

وكانت الشمس قد ارتفعت لربع المسافة عندما أصبحنا
جاهزين. أصبحت ملابس كينو المسرفة الليالية البيضاء نظيفة في
نهاية الأمر، وكان هذا هو آخر يوم يشهد العلابين الرثة التي
يرتديها، لأنه سيحصل على ملابس جديدة في صباح اليوم التالي
أورينا في نفس مساء ذلك اليوم.

وكان الجيران الذين يرقبون باب كينو من خلال الشقوق
الموجودة في منازلهم المصنوعة من الأغصان قد ارتدوا هم أيضا
ملابسهم وأصبحوا على أهمية الاستعداد أيضا. لم يكن هناك شعور
بالخجل من ذهابهم مع كينو وجوانا للناهبين لبيع التزلوة. كان
ذلك أمرا متوقعا. كانت تلك لحظة تاريخية، ومن السخف والجنون
عدم التذباب في هذه المناسبة حيث سيئل ذلك على عدم وجود
الصداقة والمودة.

وارتدت حولاً شال الرأس الخاص بها في حرمين وعناية،
وجعلت طرفاً واحداً طويلاً تحت مرفق ذراعها الأيمن وجميعه
بينها اليمنى لكي تلتصق أرجوحة شبيكة تحت ذراعها، ووضعت
كويو تبتو في هذه الأرجوحة الصغيرة وجعلته مستنداً على شال
الرأس حتى يتمكن من مشاهدة كل شيء على أمل أن يتذكر فيما
بعد.. ووضع كويو على رأسه قبعة القل الشبيكة الخاصة به
وتحسسها بيده ليتأكد من أنها قد وضعت بطريقة صحيحة، وأنها
ليست متزقة قليلاً إلى خلف رأسه أو جانب رأسه مثل رجل متهور
طائش غير متزوج وغير معمول، وليتأكد أيضاً من أنها ليست
مسطحة ومنبطحة مثلما يرتديها الرجال الأكبر سناً، وإنما مرفوعة
قليلاً إلى الأمام لكي تعبر عن العصرية والجديّة والقوة.. فهذه
أمر كثيرة يمكن ملاحظتها في درجة ميل القبعة فوق رأس
الرجل.

واتزاق كينو يغميه في مستنله وجذب السبور الجلدية لأعلى
فوق كعبه. وكانت اللؤلؤة العظيمة ملفوفة في قطعة قديمة لينة من
جلد الغزال وموضوعة في حافظة نفود جلدية صغيرة، وحافظة

النفوذ موضوعه في جيب بقميص كبتو. وطوى بطايقته في
حرص وجعل بها ثليات على هيئة شريط ضيق فوق كتفه الأيسر
وعندئذ أصبحا جاهزين لمغادرة المنزل.

وخطا كبتو خارجا من المنزل في وقار وتبعته جولنا حاملة
كوبونيتو. وبينما كانا يسيران في الزقاق في اتجاه المدينة انضم
لليهما الجيران. انا كانت المنازل تقذف بالناس من جوفها، كما
كانت ألقية المنازل لتقبأ الأطفال. ولكن نظرا لجديّة وخطورة هذه
المناسبة الهامة فقد سار مع كبتو رجلا واحد فقط هو شقيقه جوان
توماس.

وداح جون توماس يحذر أخاه ويلفت نظره وقال له: «ينبغي
أن تكون حريصا ولتأكد بنفسك من أنهم لا يخذعونك أو يخشونك».

فواصل كبتو على ذلك وقال: «ينبغي فعلا أن أكون في
غاية الحرس».

وقال جوان توماس: «نحن لا نعرف ماهي الاسعار التي
يدفعونها في الأماكن الأخرى. وكيف يمكن لنا أن نعرف أن السعر

الشيء يعرضونه مناسب أم لا ، أنا كنا لا نعرف ما الذي يحصل عليه
مشترى كئمن لها في مكان آخر؟

فقال كئمنو: «هذا صحيح». «ولست عرود: أو تكن كيف يمكن لنا
أن نعرف؟ فنحن موجودون هنا. ونحن نعلم هناك».

وبينما كانوا يسبرون في اتجاه المدينة تزايد الجمهور وراءهم
واسمهم جوان توماس في التحدث في توتر وعصبية شديدة. فقال:
«قبل أن تولد باكينو فكر الناس العجائز في وسيلة لكي يحصلوا على
مزيد من النقود ثمننا نلؤلؤ الخاضع بهم. واعتقدوا أنه من الأفضل
لهم أن يكون لهم وكيل أو مندوب بحيث يأخذ معه كافة اللآلئ
إلى العاصمة ويبيعها هناك ويأخذ لنفسه نصيبه من الأرباح فقط».

فأوما كئمنو برأسه وقال: «أعرف ذلك. لقد كانت فكرة
ممتازة».

فقال جوان توماس: «ولذلك عثروا على رجل ليكون
مندوباً عنهم وجمعوا اللآلئ وأعطوها له وأطلقوه إلى العاصمة.
ولم يعد أحد يعرف عنه أية أخبار على الإطلاق وصناع اللؤلؤ إلى

الأبد.. وبعد ذلك عهدوا بهذه المهمة إلى رجل آخر وأطلقوه إلى العاصمة ولم يسمع أحد أية أنباء عنه بعد ذلك على الإطلاق . ولذلك فقد تراجعوا عن هذه الفكرة تماما وعادوا إلى الطريقة القديمة .

وقال كيهنو: أعرف ذلك . فلقد سبق لي أن سمعت والدنا يحكي هذه القصة . لقد كانت فكرة طيبة ولكنها كانت ضد الدين ولقد أوضح الأب القسيس ذلك تماما . فصياح اللؤلؤة كان بمثابة عقاب أنصب على أولئك الذين حاولوا ترك موقعهم . وأوضح الأب القسيس أن كل رجل وكل امرأة هو بمثابة جندي كلفه الله بحراسة جزء ما من قنعة الكون والبعض موجودون في العتارين والاستحكامات والبعض الآخر على أعماق بعيدة في الغياهب المظلمة للحوادث . إلا أن كل واحد ينبغي عليه أن يظل مخلصا لموقعه ولا يجب عليه أن يجري هنا وهناك وذلك لكي لا يتعرض القامة للأخطار الناجمة عن الهجوم الذي تقوم به جهنم! .

فقال جوان توماس: لقد سمعته وهو يلقى هذه الموعظة في الكنيسة، واستمر: فهو يلقى نفس هذه الخطبة في كل عام .

وبينما كان الشقيقان يواصلان المسير راحا ينتظران بعينين
نصف مغمضتين مثلما كان يفعل أبائهم وأجدانهم على مدى
٤٠٠ عام منذ أن جاء الغرباء لأول مرة ومعهم الجذل والبراهين
والنفوذ والسلطة واليورو .. وفي خلال الأربعين عام لم يتعلم
أهالي كيدو سوى دفاع واحد فقط .. تضيق خفيف في العينين،
وزم خفيف في الشفتين، واللجوء إلى الاعتزال أو الخلوة، ولم يكن
بمقدور أي شيء تحطيم هذا الحائط، وبمقدور من البقاء سالمين في
داخل الحائط.

كان للموكب المحتشد بسوء الوقلر والهيبة لأنهم كانوا يشعرون
بأهمية ذلك اليوم. وعندما كان يحاول أي أطفال اظهار التمليل
للمشاجرة أو الصراخ بصوت عال أو سرقة القبعات أو فكش الشعر
كان أبائهم وأقربائهم يهيمون لهم فيسارعون للالتزام بالصمت.

كان ذلك اليوم بالغ الأهمية حتى أن رجلا عجوزا جاء ليشهد
الأحداث وهو راكب فوق كتفي ابن أخيه ..

وتغطي المركب الأكواخ المصنوعة من الأغصان وتدخل إلى
نطاق المدينة المشيدة بالأحجار والجس حيث كانت الشوارع أكثر
تساعدا بعض الشيء. وحيث كانت هناك أرصفة ضيقة بجوار
الميناء.

ومثل ما حدث من قبل انضم اليهم الشعانون لدى مرورهم
أمام الكنيسة ونظر اليهم البقالون لدى مرورهم بجوار محلات
البقالة، وفقدت الصلوات العامة زبائنهم وأغلق أصحاب المحلات
دكاكينهم وانضموا للمركب، ورحلت الشمس تضرب بحرلقتها فوق
شوارع المدينة وحتى للحجارة الصغيرة كانت تنقى بالظلال فوق
الأرض.

وكانت لبناء اقترب المركب تجري أمامه. وفي المكاتب
المظلمة بعض الشيء كان يجلس المشترون للؤلؤ في تصليب
ونخشب وفي مزيد من البقعة. وكانوا قد استخرجوا أوراقا حتى
يكملهم البدء في العمل لدى ظهور كينو أمامهم ووضعوا اللؤلؤ
للخاص بهم في المكاتب لأنه ليس من الحكمة أن يمحوا اللؤلؤ
ذات المستوى الأقل تظهر أمام وجود لؤلؤة عظمى مثل التي

سيحضرها كثير، وكانت الأنبياء عن الجمال الهائل للؤلؤة كثير قد وصلت إليهم.

وكانت مكاتب المشترين للؤلؤ متجمعة مع بعضها في شارع واحد ضيق. وكانت نزلت تلك المكاتب بها حواجز من القصبان الحديدية، وكانت الشرائط الشخصية للوافد تحجب الصوت بحيث لا يدخل إلى المكاتب سوى عتمة خفيفة.

وجلس رجل قوي بطيئ الحركة في إحدى هذه المكاتب منتظرا، كان وجهه يفيض بالحنو الأبوي والشفقة والرحمة. وكانت عيناه تومضان بالصدافة، وكان نائب النحية بدعير، صباح الخير، ومصافحا للأيدي بطريقة رسمية. وكان رجلا مرحا يعرف جميع النكات المضحكة. ومع ذلك كان أقرب إلى الحزن والاكئاب لأنه وهو في عز المنحك يمكن أن يتذكر وفاة صديق وتمتلي عيناه بالدموع أسفا على الفقد وعلى الخسارة التي أصابته.

وفي هذا الصباح كان قد وضع زهرة في فارة على مكتبه. زهرة واحدة من للخبيزة القرمزية. والفارة كانت قائمة بجوار

صديقية اتلزلز العبطنة من الداخل بالقسيطة والموجودة أمامه . وكان قد خلق نغمة تماما بحيث لم يظهر من تحيته سوى الجذور الزرقاء . وكانت يده نظيفتين وأظافر أصابعه مهذبة ولامعة ، واستعد بأبه لمفتوح لاستقبال الصباح ، وراح يندندن بصوت منقطع بينما كانت يده اليمنى تعارض لعبة اخفة اليد السحرية . اذ كان يخرج عملة معدنية جيدة ونهايا فوق مفصلات أصابع يده بحيث يجعلها تظهر وتختفي ويجعلها تلف وتدور وتتلاذذ .

كانت العملة ترمض متجنبة ثم تختفي بنفس السرعة اتلى ظهرت بها . بل ولم يكن الرجل يرقب يده وهو يقدم هذا العرض العابر . اذ كانت أصابعه تؤدي هذا العمل بشكل آلي وفي دقة بالغة بينما كان هو يندندن لنفسه ويحدق ببصره في الشارع من خلال فتحة الباب . . ويخذل ترامى الى سمعه صوت وقع الأقدام الخاصة بالجمهور الآخذ في الاقتراب فاستغلت أصابع يده اليمنى في مزيد من السرعة الى أن تألفت واختفت العملة المعدنية لدى ظهور قوام كبير عند فتحة الباب .

قال الرجل القوي : صباح الخير يا صديقي . . واستطرد :
« ماذا يمكنني أن أفعله . من أجلك ؟ »

فحملك كينو في العلبة التي تسود ذلك المكتب الصغير لأن
عينيه كانتا مشدودتين بسبب توهج الأصواء بالخارج . الا ان عيني
المشترى كانت قد أصبحت ثابتة وقاسية وغير راضية على
الاطلاق مثل عيني الصفر بينما كانت باقي أعضائه وجهه تبسم
في نحية له . وراحت يده اليمنى تلعب بالعملة في سريّة تامة
خلف مكتبة .

قال كينوة الذي لأولوة . ووقف جوان نوماى خلقه وأصدر
قدرا من الشخير بسبب العيلة التي فاتها كينو والتي تعطى فكرة
أهل مما تفتن به الحقيقة . وراح الجيران يجمعون حول المدخل
ونسق الأولاد الصغار على قضبان النواقد وأخذوا يجمعون في
الداخل وبدأ العديد من الأولاد الصغار يمشون على أيديهم وأرجلهم
ليرقبوا الموقف من بين ساقى كينو .

قال التاجر : أنت لديك لأولوة . واستطرد : وفي بعض
الأحيان يحضرني أحد الرجال ستة من الآلى . حسنا . دعنا
نشاهد لأولوة الخاصة بك . وامسوف نقيم سعرها ونعطيك أفضل ثمن
لها . .

وراحت أصابعه تشغل في نشاط محمود مع العملة المعدنية .

والآن كان كينو يدرك بطريقة غريزية التأثيرات الدرامية الخاصة به . ففي بطنه أخذ يستخرج الحافظة الجلدية وراح يستخرج منها قطعة جلد الغزال القذرة ويعدئد سمح للؤلؤة العظيمة بالتخرج الى الصينية المبطنة بالقطيفة السوداء . وعلى الفور رمقت عيناها وجه التاجر . ولكن وجه التاجر لم تظهر عليه أية علامات ولا أية حركة ولا أي تغير . إلا أن اليد السرية خلف المكتب الفتحت الدقة المتناهية التي كانت تتميز بها . لذا تعذرت العملة المعدنية فوق أحد مفصلات أصبعه وانزقت في صمت إلى حجر التاجر . وعندما خرجت اليد اليمنى من مخبأها لمس أصبع السبابة اللؤلؤة الهالة العظيمة ودحرجها فوق القطيفة السوداء والنقطة باصبع الأبهام وأصبح السبابة وقربها من عينيه وراح يديرها في الهواء .

وكنتم كينو أنفسه وكنتم الجيران لنفاسهم . وتناقل الهمس الى وراء غير الجمهور المعتشد : أنه يقوم بفحصها الآن . . ولم يتم تحديد أي سعر حتى الآن . . لم يتفقوا على سعر معين .

وكانت يد التاجر قد أصبحت أثلث شخصية كاملة .. ودققت
اليد الثلثة العظمى الى الصيحية مرة أخرى وراح اصبع السبابة
يلكز اللؤلؤة ويقتل من شأنها ثم ظهرت على وجه التاجر ابتسامة
عزيزة تقول انى الازدراء.

وقال: آسف يا صديقى! بينما ارتفعت كتفاه قليلا ليشير الى
أنه ليس مسئولا عن سوء الحظ.

قال كينود: انها لؤلؤة ذات قيمة عظيمة وفركت أصابع التاجر
للؤلؤة فى ازدراء حتى أنها وثبتت وهتزت مرة أخرى فى نعومة من
جانب الصيحية المبطلدة بالقليفة.

وقال التاجر: هل سمعت عن الذهب الوهمى؟ ان هذه اللؤلؤ
تعبه الذهب الكاذب وهى كبيرة للغاية. ومن ذا الذى يشتريها؟
اذ لا يوجد سوق لمثل هذه الأشياء. فهى ليست سوى تحفة نادرة
غريبة. اننى لآسف. لقد اعتقدت أنت انها شيء له قيمة ولكنها
ليست سوى تحفة نادرة غريبة!.

وهنا ظهر القلق والأرتباك واللهم على وجه كيتو وصرخ
قائلا: انها تولد العالم.. واستطرد: ولم يسبق لأحد في العالم أن
شاهد مثلها على الإطلاق..

فقال التاجر: على العكس من ذلك.. انها كبيرة الحجم وغير
ملائمة. انها تشد الانتباه من حيث هي تخفة نادرة وربما تأخذها
أحدى الملائك بهدف وضعها في مجموعة المعروضات من
المعارات البحرية وبإستطاعتى أن أقدم لك ألف ييزو ثعنا لها..

فاكفهر وجه كيتو وأصبح ناكدا ومائجا بالخطورة وقال: ان
ثعنا ٥٠ ألف ييزو.. وأنت تعرف ذلك.. وأنت تريد أن نخشى
وتخضعلى..

وسمع التاجر زمجرة خفيفة تسرى فى كيان الجماهير
المعشدة لدى سماعهم السعر الذى نطق به .. وشعر التاجر
برعشة خوف..

فقال على وجه السرعة: لاتلقى باللوم على فأنا لست
سوى مثمنا، اذهب واسأل التجار الآخرين اذهب الى مكاتبهم

واعرض عليهم لأولئك.. أو الأفضل من ذلك دعهم يحضرون إلى
هذا لكي تتأكد بنفسك أنه لا يوجد أي تواطؤ أو أية مؤامرة. ثم
قضى: أيها الولد، وعندما نظر خادمة من أبواب الخلفي
استطرد: أيها الولد، اذهب إلى تاجر لؤلؤ ثم اذهب إلى قاهر ثانٍ
وقاهر ثالث وأطلب منهم جميعاً أن يحضروا إلى هذا بدون أن تذكر
لهم السبب في ذلك. قل لهم فقط أنه يسميني أن يعترفوني
بالعصور التي.. ثم اتجهت يده اليمنى إلى خلف المكتب وانزعجت
عملة معدنية أخرى من جيبه فراحته العملة تتدحرج للخلف
وللأمام فوق مطاحن أصابعه.

أخذ جيران كينو في التهامس مع بعضهم البعض. لقد كانوا
يخشون من حدوث شيء كهذا. فالؤلؤة كانت كهيبة ولكن كان بها
لون عجيب. ولقد شكروا في أمرها منذ البداية. ويرغم كل ذلك فإن
مبتغى الآلف يبيزو لا ينبغي رفضه. فهو يعد بمثابة ثروة بالنسبة
لرجل غير ميسور الحال. وإذا أخذ كينو الآلف يبيزو فهو الكاسب
لأنه بالأمن فقط لم يكن لديه أية نفود على الإطلاق

الا أن كينو قد ازناد صلاية وتحجرا. كان يشعر بزحف القدر
وتطويق الذئاب ورفرفة الخسوف. ولحق بالمر يخفض فيما حوله
وكان هو عاجزا عن حماية نفسه. وسمع في داخل أذنيه موسيقى
المطر. وفوق القطيفة السوداء لعبت اللؤلؤة العظيمة. حتى أن التاجر
لم يستطع أن يرفع بصره عنها. وتعارض الجمهور للمدخل بالمدخل
وتكسر وسمح للتجار الثلاثة بفتح طريق لهم. وكان للجمهور صامتا
في ذلك الآونة لأنه كان يخشى أن تقوته كلمة واحدة أو تفرقه
مشاهدة حركة أو تعبير يظهر على الوجه والتزم كينو بالهدوء
واتصفت والترقب. وكان يشعر بثقل من الشد والاجهاد في ظهره
فالتفت ونظر في عيني جوانا وعلم ما رفع بصره عنها أحسن أنه
قد تجددت قواه. ولم يلق التجار بانتظرات الى بعضهم البعض ولا
الى اللؤلؤة وقال الرجل الجالس وراء المكتب لقد حددت سعرا لهذا
اللؤلؤة. والمالك لهذه اللؤلؤة الموجود معنا هنا لا يعتقد أن ذلك
السعر مجزيا ولذلك فانا أطلب منكم قحص هذه اللؤلؤة.. أن
تقصوا هذا الشيء وتقدموا سعرا ثم قال لكينو.. «لاحظ أنني لم
أذكر لهم السعر الذي حددته» وهنا بدا على للتاجر الأول الذي كان

ناشفا ونحيلا ومفتون العضلات أنه يشاهد اللؤلؤة لأول مرة .
وأمسك باللؤلؤة لأعلى ودحرجها بسرعة بين اصبع الإبهام وأصبع
السيابة ثم ألقى بها في الزدراء في التصيدية ثم قال في جفاء
.. لا تدخلوني في هذه المسألة فانا لن أتقدم بأي سعر على
الاطلاق . لأنني لأريدها . فهذه ليست لؤلؤة . . أنها شيء شاذ
رهيب الحجم ثم نجعلت شفتاه الرفيعتان . وبعد ذلك قام التاجر
الثاني . وهو رجل ضليل الجسم به صوت خافت خجول بالأمسك
باللؤلؤة وراح يتفحصها في اهتمام وثقة . وأخرج منظارا من جيبه
وفحصها تحت جهاز التكبير ثم انفجر ضاحكا بصوت رقيق
وقال .. اللآلئ الأفضل تكون مصنوعة من الزجاج البراق
والمستطرد .. . انني أعرف هذه الأنبياء فهذه لبنة ومباشيرة
وتعروف تفقد ألوانها وتموت تعاما بعد مرور شهر قليلة . انظر .. ثم
قدم المنظار لكينو وبين له كيفية استخدامه .

ونظر لأن كينو لم يصف له أن شاهد سطح لؤلؤة تحت المنظار
المكبر فانه قد صدم لدى مشاهدة سطح اللؤلؤة الغريبة الشكل .

وأخذ التجار الثالث التلوثة من يدى كينو ثم قال: هناك
شخص بين زبائنى يحب مثل هذه الأشياء، واستطرد: سأدفع
٥٠٠ بيزو ثمنها لها وربما أتمكن من بيعها لزيونى هذا بـ ٦٠٠
بيزو.

وهنا مد كينو يده بسرعة وخطف التلوثة من يد التاجر، وغنمها
فى جلد الغزال ودفن بها الى داخل قميصه.

فقال الرجل الجالس خلف المكتب: «اننى أعرف لئلى رجل
مغفل ولكنى لن أراجع عن العرض الأول الذى قمت به لك. اننى
لازلت أعرض عليك ٦٠٠ بيزو فما رأيك؟». وقال ذلك الكلام
بيدما كينو يضع التلوثة فى جيبه.

فصرخ كينو فى وحشية: «لقد وقعت فى حبال الغش
والخداع.. لؤلؤتى ليست للبيع هنا. وتصرف لأذهب. وربما أذهب
الى العاصمة ذاتها».

وهنا أخذ التجار يتفكرون الى بعضهم البعض نظرات سريعة.
وكانوا يدركون انهم قد بالغوا فى قسوتهم وقتلوا من شأن التلوثة

أكثر من اللازم، كما كانوا يدركون أنهم سيخضعون للمعاقب بسبب فشلهم في شراء تلك اللؤلؤة، ولذلك قال الرجل الجالس إلى المكتب بسرعة: «أننى أعرض عليك ١٥٠٠ بيزو».

إلا أن كيدو كان يثق طريقه بين الجماهير المعشقة، وترامت إليه مهمة للكلام بصوت خافت حيث كانت دماء الغضب تدق في أنفيه وتدفع بقوة بين الناس، ومشى بخطوات واسعة مبتعدا. وتبعته جونا مهرولة وراءه.

وعندما جاء المساء جلس الجيرلان في منازلهم المشيدة من أغصان الأشجار يتناولون فطائر القمح والفول وراحوا يتناولون أحداث الصباح الهائلة بالمناقشة والتحليل.

كانوا في حيرة من أمرهم. فباللؤلؤة كانت تبدو جميلة في نظرهم إلا أنهم لم يشاهدوا مثل هذه اللؤلؤة من قبل على الإطلاق. ومن المؤكد أن التجار يعرفون أكثر منهم فيما يتعلق بأسعار اللآلىء وقبعتها الفخية وقالوا: «وأولئك التجار لم يملقشوا هذه الأشياء.. فكل واحد من التجار الثلاثة كان يدرك أن اللؤلؤة لا قيمة لها».

«وَلَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ رَتَبُوا كُلَّ ذَلِكَ مُقَدِّمًا؟»

«لَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَغْشَوْنَنا وَيَسْلُبُونَ حَيَاتَنَا».

وَقَالَ الْبَعْضُ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ لَكِنُّو أَنْ يَحْصِلَ عَلَى ١٥٠٠ بِيْزُو. لِأَنَّ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ كَبِيرٌ تَلْفَاحَةً وَأَكْبَرُ مِنْ أَيِّ مَبْلَغٍ شَاهَدَ فِي حَيَاتِهِ. وَرُبَّمَا كَانَ كَبِيرٌ مَقْلًا. وَلَفَرَضَ أَنَّهُ ذَهَبَ بِالْفُضْلِ إِلَى الْعَاصِمَةِ وَلَمْ يَجِدْ هُنَاكَ مَشْتَرِيًا لِلْوَلُوتَةِ، أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْحَيَاةَ بِطَرِيقَةٍ تَغْنِي عَنْهَا تِلْكَ الْجَرِيمَةُ الَّتِي ارْتَكَبَهَا فِي هَؤُلَاءِ نَفْسِهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ آخَرُونَ نَحْتَاكِهِمُ الْمَخَافَ وَالْوَسَاوِي أَنْ كُنُو قَدْ تَعَدَّى التَّجَارَ بِهَذَا التَّصَرُّفِ وَلِذَلِكَ سَيُحْجَمُ هَؤُلَاءِ التَّجَارُ عَنْ التَّعَامُلِ مَعَهُ مُسْتَقْبَلًا بِالْمَرَّةِ. فَكَيْفَ بِذَلِكَ قَدْ نَجَحَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ وَدَمَرَ حَيَاتَهُ.

وَقَالَ آخَرُونَ أَنْ كُنُو رَجُلٌ شَجَاعٌ وَرَجُلٌ مَنُوحَشٌ وَهُوَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَصَوَابٍ، وَرُبَّمَا نَسْتَطِيعُ نَحْنُ جَمِيعًا مِنْ وِرَاءِ شَجَاعَتِهِ. كَانُوا فَخُورِينَ بِكُنُو وَمُحِبِّينَ بِهِ.

وجلس كبئرو في منزله القرفصاء على حصيرة ألوم وزاح
يتأمل في تفكير عميق، وكان قد دفن الزلوة تحت حجر بالقرب
من حفرة الثيران في منزله، وحمل في الأعشاب المنسوجة في
حصيرة ألوم إلى أن تراقصت الرسوم المتقاطعة في رأسه. لقد
خسر عالما واحدا ولم يكسب عالما آخر، وكان كبئرو يشعر بالخوف
فهو لم يسبق له في حياته أن ذهب بعيدا عن موطنه ومكانه. كان
خائفا من الناس الأغراب ومن الأماكن الغريبة عليه. كان مرعوبا
من وحش الغربة والغربة والذي يسمونه العاصمة.

كانت العاصمة تقع إلى ما وراء المياه وعبر الجبال ونسافة
تزيد على الألف ميل، وكل ميل غريب ورهيب وكان أمرا خطيرا
بالطبيعة له. ولكن كبئرو كان قد فقد عاتقه القديم ويظن عليه أن
يتعلق في جد واجتهاد إلى عالم جديد. لأن حلمه عن المستقبل
كان حلما حقيقيا ولا ينبغي أن يدمر ذلك الحلم على الإطلاق. ولقد
قال: انني سأذهب بكل تأكيد، وذلك صنع شيئا حقيقيا أيضا،
فالتصميم على الذهاب يعتبر نصف المسافة في الطريق إلى
الهدف.

وكانت جوانا قد شاهدته وهو يذقن للؤلؤة وكانت ترقبه أثناء
تنظيفها لأبنها كرويتير وأثناء ارضاعه باللبن ، وأعدت جوانا
قطائر القمح من أجل وجبة العشاء .

وجاء جوان توماس وقبح جالسا القرفصاء بجوار كيتو وظل
صامتا لفترة طويلة إلى أن تحدث كيتو في نهاية الأمر قائلاً : «وما
الذي يمكنني أن أفعله بعد ذلك ؟ فهؤلاء الناس غشاشون .

فأوماً جوان توماس برأسه في وقار . كان أكبر في السن من
كيتو . وكان كيتو يطلب منه المشورة نظراً لحكمته ورجاحة عقله .
فقال جوان توماس : «من الصعب أن نعرف .. نحن ندرك تماماً أننا
منحبة للغش والخداع منذ أن نولد إلى أن نحمل في نعوشنا ..
ولكننا نبقى على قيد الحياة . وأنت قد تحدثت ليس فقط تجاه اللؤلؤة ،
وإنما أهبنا التركيبة الاجتماعية بأكملها .. طريقة الحياة بأكملها
وأسلوب الحياة بأكمله ولنا خائف عليك .»

فتسائل كيتو : «وما الذي ينبغي علي أن أخشاه بخلاف الموت
جوعاً ؟»

ولكن أخاه هز رأسه في بطة وقال: «ينبغي علينا جميعا أن نخاف من الموت جوعا. ولكن لنفرض أنك على صواب.. ولنفرض أن مؤثنتك لها قيمة كبرى.. فهل تعتقد أن اللعبة انتهت؟»

- ماذا نعلم؟ -

فقال جوان توماس: «لا أدري.. ولكنني خائف عليك. فأنت ستذهب إلى أراض جديدة وغريبة عليك.. وأنت لا تعرف الطريق».

فقال كينو: «ولكني سأذهب بالتأكيد.. سأذهب بالتأكيد على وجه السرعة».

ووافق جوان توماس وقال: «نعم. يجب عليك أن تفعل ذلك. ولكنني أشك في أنك ستجد الأمر مثيرا في العاصمة. فأنت هنا لديك لصداؤك بالامانة إلى وجرودي أنا بجوارك فأنا شقيقك هنا. أما هناك فلن تجد أي شخص إلى جوارك».

فصاح كيثو : «وماذا سأفعل ؟ وما الذى يمكننى أن أفعله ؟»
واستطرد : «يوجد هناك اعتداء وانتهاك شديد . ويجب أن يحصل
أبلى على فرصته . وذلك هو ما يهدفون إليه . سيقيم أصدقاؤى
بجمايلى» .

فقال جوان توماس : «سيقوم أصدقاؤك بجمايلىك فى حالة
ما إذا كان ذلك لا يعرضهم للمخاطر أو القلاقل والأزعاج ، ثم
تهض قاتلاً» . «أذهب فى رعاية الله» .

وقال كيثو : «أذهب فى رعاية الله» ولم ينتظر حتى لى أعلى
لأن الكلمات كانت بها فطيرة غريبة .

وبعد أن انصرف جوان توماس بفترة طويلة جلس كيثو مفكراً
ومزأماً فوق حصيرة نومه . وهبط عليه تبدد غريب وشعور بالكسل
والرغبة فى النوم كما اجتأحه شيء من اليأس الرمادى اللون . إذ
بدت كائنة الطريق وكأنها مصدونة أمامه . وفى داخل رأسه ثم بعد
يسمع سوى موسيقى العذو للكليبة الداكنة .

كانت حواسه تنحرق في اشتعال وتكن عقله رجع الى المشاركة العميقة مع كافة الأمور، الهبة التي حصل عليها من أهاليه، كان يسمع كل صوت هديل ناعم عن الليل الزاهف، وكان يسمع الشكوى النائمة لتطير المستقرة في أعشاشها، ونوبات الحب لدى القطط، وهزبات الموجات الصغيرة على الشاطئ وصوت الحمارها عنه، بل ويسمع الهمس الخفيف للمسافات .. وكان باستطاعته شم الرائحة الحادة للمساعدة المكشوفة من جانب الموجات المتحسرة. وأدى التوهج الخفيف لنيران الأغصان الى جعل الرسومات والتصميمات في حصى نومه تقفز أمام عينيهِ المملوتين.

وكانت جراتا ترفبه في تلقى إلا أنها كانت تعرفه جيدا وكانت تدرك أنها مساعده أكثر انا ظلت صاعته وقريبة منه. وراحت هي الأخرى تقابل أغنية العنبر. كما لو كانت هي الأخرى تتمكن من سماعها. بأن بدأت تنقل بصوت منخفض بأغنية العائلة وبأمن ودفع وشمولية الأسرة والعائلة. وأمسكت بكرونيو بين ذراعيها رغبت الأغنية له بهدف أبعاد الشر عنه، وكان صوتها شجاعا في مواجهة تهديدات الموسيقى المظلمة التكبيلة.

ولم يحرك كيلو من مكانه ولم يطلب تقديم العشاء له . كانت تدرك أنه سيمنب الطعام عندما يشعر أنه بحاجة للطعام . كانت عيناها مسلوبتين وكان يحس بالشر المتعطر المترقب خارج منزله المصنوع من الأغصان ، بل وكان يشعر بالأشياء المذمومة الزاجفة التي تنتظر خروجه إلى ظلمات الليل . كان شيدا مبهما ومخيفا ومع ذلك كان يستدعيه ويهذبه ويتحداه واتجهت هذه الجمرة إلى داخل قميصه وتحمس سكينه وكانت عيناها متسعيتين ثم نهض واقفا وانتهى إلى المدخل .

ولما انت جوارفا أن توقفه فرفعت يدها لكي توقفه وفتحت قمها في رعب . وظل كيلو يحمق للحظات طويلة في الظلام ثم خرج إلى الظلام . وسمعت جوارفا صوت اندفاع خفيف وصوت المقاومة للمزوجة بالخير والعتري ، فتجمدت في رعب للحظات وبعدئذ تراجعت شفتاها عن أسنانها مثل شفتي قطرة . ثم وضعت كويوليتو على الأرض . وأمسكت حجرا من موقد النيران واتدقت خارجه إلى الظلام ولكن المشهد كان قد انتهى في تلك اللحظة . كان كيلو

مستلقيا على الأرض وقد راح بكافح لكي يتمكن من الوقوف على قدميه ولم يكن هناك أى شخص بالقرب منه . لم يكن هناك سوى الظلال وتدافع الأمواج وارتطامها بالشاطئ وبعض المسافات . إلا أن الشر كان موجودا في جميع الأرجاء مستلقيا وراء السور المصنوع من الأغصان وجائحا بجوار المنزل تحت جناح الظلال ومزقرا في الهواء .

ورمت جوانا الحجر ووضعت ذراعيها حول كينو وساعدته الى أن وقف على قدميه ، وساندته وسارت به الى داخل المنزل . كانت السماء ترشح من فزوة رأسه وكان هناك جرح طويل عميق في خده ممتد من أذنه الى ذقنه . جرح نامى عميق . ولم يفقد كينو وعيه تماما . وهز رأسه من جانب لآخر . كان قميصه ممزقا ومفلوها وملابسه شبه مذبذبة . وجلست جوانا على حصى قومه وراحت تمسح السماء عن وجهه مستخدمة جوف ثوبا . وأحضرت له شراب «البلكة» لشرب من أبريق صغير ، وكان لا يزال يهز رأسه ليجتد الأضواء والظلام عن عينيه .

وتساءلت جوانا: «من؟»

وقال كينو: «لست أدري». واستطرد: «لم أشاهده في الظلام».

ثم أحضرت جوانا لئاء الماء الصلصالي وأخذت تفعل الجرح الموجود في وجهه بينما كان هو يعلق لئاءه وهو يشعر بالدوخة والدوار.

وصاحت: «يا كينو يا زوجي العزيز»، وكانت عيناها تعلقان إلى ما وراءها. فاستطردت: «يا كينو .. هل سمعني؟»

فقال في ثبات: «أنا أسمعك».

«يا كينو، هذه اللؤلؤة هي للشر بعينه. هيا بنا ندمرها قبل أن تدمرنا. هيا بنا نسحقها بين حجرين .. هيا بنا .. هيا بنا نلقى بها إلى البحر مرة أخرى نلقى بها إلى المكان الذي قلتم لي إليه. يا كينو لنها شر. لنها شر مستطير».

وبينما كانت تتكلم عاد الضوء إلى عيني كينو حتى أنهما راحا يلمعان في وحشية وتصلبت عضلاته وأصبحت أركانه من حديد.

وقال: «لا، لسوف احارب هذا الثعبان، لسوف أنتصر عليه.
ولسوف نحصل على فرصتنا». وهترب بهجاء يده على حصيرة
الذوم. ثم قال: «لن يأخذ أحد منا الحظ السعيد الخاص بنا». ثم
هدأت عيناه ووضع يدا حلوته فوق كتف جوانا وقال: «صدقني .
أنا رجل بمعنى الكلمة». وظهرت ملامح النداء على وجهه وهو
يقول: في الصباح سأأخذ زورقنا وسنطلق به إلى عرض البحر
وعبر الجبال نحو العاصمة. أنا وأنت معي. ولن يفدنا أحد ولن
يفشنا أحد.. فأنا رجل».

فكانت في صوت مبهور: «يا كيدر.. أنتي خائفة.. أي رجل
يمكن قتله بكل سهولة. هيا بنا نلقي باللولوة في البحر».

فقال في وحشية: «اسكني.. أنتي رجل.... اسكني». فلذت
بالصمت. لأن صوته كان أمر بطاع. واستطرد: «هيا بنا ننام قليلا
. ولسوف نبدأ رحلتها مع بزوغ أول ضوء.. أنت خائفة من
المجهول معي؟»

— لا. يا زوجي

وبرقت عيناه بالنداء والحدان تجاهها أتتد ولست يده خدما
وقال: «هيا بنا ننام قليلا».

الفصل الخامس

ارتفع القمر المتأخر قبل الصباح الأول للديكة.. وفتح كينو عينيه في الظلام لأنه شعر بحركة بالقرب منه إلا أنه لم يتحرك. وأما راحت عباءة ثقتشان في الظلام وثبت الضوء الساحب للقمر والذي تفل من ثقب العزل المشيد من الأغصان شاهد كينو جوانا وهي تنهض في صمت من جلوسه. وشاهدنا لتحرك صوت حفرة النيران. وكانت تسير في حرص شديد حتى أنه لم يسمع سوى صوت خافت للغاية عندما هزكت الحجر الخاص بعوقد النيران، وبعدئذ انزلت كالظلال نحو الباب. وتوقفت للحظات بجوار الصندوق المعلق الذي ينام فيه كويويتو ثم عادت على الفور إلى الباب وخرجت في لحظات.

ومواج الغضب في داخل كينوا. ونهض على الفور واقفا على قدميه وتبعها في صمت شديد لكي لا يشعر به وتمكن من سماع رفع أقدامها السريعة وهي تتجه نحو الشاطئ ولتفتي أثرها بسرعة وكان ذهبه أحمر اللون ومثعبا بالغضب. وهزولت بعيدا عن خط الأكواخ وتعثرت فوق الصخور الصغيرة الملتصقة عن الجبل وهي تتجه نحو الماء. وبعدئذ سمعته آتيا وراءها فأتطلقت تجري بأقصى سرعة. وارتفع ذراعها لكي ترمي اللؤلؤة عندما هجم عليها وأمسك بذراعها وانتزع اللؤلؤة وأخذها منها وهزبها على وجهها بجماع يده فسقطت بين الصخور، وركلها ورفسها في جانبها، وتعت للضيء الشاحب شاهد الأمواج الصغيرة تتكسر فوق جسدها، وعامت جوفلاها فيما حولها ولتصقت بساقها الذي انحسار الماء.

وتنظر كينو نحوها وقد كشف عن لسانه وأنيابه وكان بهسهس نحوها كاللثبان وحملت جولنا في وجهه بعينين واسعتين خاليتين من الخوف مثل نعجة أمام الحزار. كانت تدرك أن للقتل والاعتقال كان يتفاعل في داخله. وكان ذلك أمر لا بأس به إذ كانت قد قبلته بحيث لم يعد لديها رغبة في المقاومة أو حتى الاعتراض ..

وبعدئذ هدأت موجة الغضب في داخله وحلت محلها مشاعر
الاستعزاز والغليان. فاستدار مبتعداً عنها وسار على الشاطئ وعبر
خط الأكواخ. وكانت عاطفته قد تسببت في تبدل أحاسيسه.

وسمع الانتفاخ والهجوم فأخرج سكينه ووثب على هيكل واحد
أسود وشعر بسكينه تنفذ إلى جسد الهيكل. وبعدئذ أطبع به بقوة
فوق على ركبتيه ثم اكتمح مرة أخرى فوق على الأرض فراحت
الأيدي الشرهة تبحث في ملابسه وأخذت الأصابع المحسومة
تفتش وتبحث وماتت اللؤلؤة من يده واستقرت وراء حجر صغير
بالصغر. وكانت تومض وتلألأ وتذلق تحت ضوء القمر الخافت.

وجرت جولثانفسها ونهضت من بين الصخور الواقعة عند
حافة الماء. كان وجهها يروج باللم خفيف وكانت هناك بعض
الآلام في خصرها. وثبتت نفسها فوق ركبتيها لبعض الوقت
والكسفت جرناتها لليلة بجسدها. لم تكن تحس بمشاعر الغضب
من قبل. فهو سبق أن قال: وأنا رجل، وكان ذلك يعطى لأمورا
معينة بالنسبة لجولثا. كان يعطى أنه نصف مجنون وأنه نصف إله.

كان يعنى أن كينو على استعداد لتوجيه قوته ضد الجبل وضد البحر.

وجوانا بروحها النسائية كانت تدرك أن الجبل سيصمد بينما الرجل سيحطم نفسه.. وكانت تعرف أن البحر سيموج ويضطرب عندما يغرق فيه الرجل. ومع ذلك فإن ذلك الشيء هو الذى كان يجعل منه رجلاً نصف مجنون ونصف إله.. وجوانا كانت بحاجة إلى رجل ولا يمكنها أن تعيش بدون رجل. وعلى الرغم من أن هذه الفوارق بين الرجل والمرأة كانت تظهر حيرتها وارتباكها وتفكيرها العميق إلا أنها كانت تعرف جوانب هذه الفوارق وتقبلها وتحتاج إليها.

وكان من الطبيعى أن تتبعه وتسير وراءه. فلم يكن هناك شك فى ذلك. وأحياناً ما تمكنت خاصة المرأة والعقل والحذر وحاسة الحماية والتحفظ والوقاية من كبح جماح رجولة كينو وانفاقهم جميعاً.. تحاملت على قنصها فى ألم وغصصت راحتي يديها المتكورتين على شكل كوب فى الأمواج الصغيرة وغسلت وجهها المنىء بالخدوش والخدمات بالمياه اللاسعة المألحة. ثم انطلقت مبهزولة على انشأطى وراء كينو.

وكان مزب من سحب سمك اترنجة والسردين قد تحرك عبر السماء من جهة الجنوب. وغطى القمر الشاحب وراء جدائل السحب ثم ظهر مرة أخرى حتى أن جوانا قد سارت تحت الظلام الكامل للحظات. ثم سارت تحت الضوء بعد ذلك. كان ظهرها منحنيًا بسبب الآلام، وكان رأسها متدليًا لأسفل. واخترفت صف الأبقال عندما كان القمر مستترا وراء السحب وعندما نظرت من خلال الشجيرات شاهدت لعمان الوثيرة العظيمة على البحر خلف الصخرة. فهبطت على ركبتيها والذقطنها لم تراجع القمر وراء ظلام السحب مرة أخرى.

وقالت جوانا راحة على ركبتيها وراحت تفكر فيما إذا كان عليها أن ترجع إلى البحر وتنجز مهمتها. وبينما هي تفكر في ذلك الأمر، سطع ضوء القمر مرة أخرى فشاهدت هيكليين داكنين مستلقين على البحر أمامها. فقفزت للأمام وأدركت أن كينو أحدها والآخر شخص غريب يلتف من حلقه سائل لامع داكن.

وتحرك كينو في بقاء شديد بينما كانت تراعاه وساقاه تتحركان في نهاد مثل تلك الخاصة بحشرة مسحوفة. وصدرت

همهمة غير واضحة من فمه، وهنا أدركت جوانا على الفور أن
للحياة القديمة قد ذهبت إلى غير رجعة للأبد. فحثة الرجل الميت
ووجد سكين كينو إلى جوار الحدة قد جعلها تدرك على الفور
جوانب الموقف، لقد ظلت جوانا طوال الوقت تحاول انقاذ قدر من
السلام القديم وقدر من الجو السلمي الذي كان سائدا قبل العثور
على التلوة. الا أن هذا السلام قد ولى في تلك الآونة ولم يعد هناك
أمل في استرجاعه. ولم يكن هناك شيء تفعله سوى انقاذ أنفسهم

وقلاشي عنها الألم آنذا ونهب عنها بطورها. فراحت بسرعة
تجر حلة الرجل الميت من الممر لتوازيه تحت الشجيرات. ثم
ذهبت إلى كينو ومسحت وجهه بجوانتها المبتلة. فبدأ يعود إلى
وعيه وأخذ يتوجع في أنين.

وقال: لقد أخذوا مني التلوة. لقد فقدت التلوة. لقد انتهى
الآن كل شيء. بعد أن هضعت التلوة.

فراحت تهدئ من روعه مقلما تهدئ من روع طفل مريض.
وقالت له: اسكت. هاهي تلوتك. لقد عثرت عليها في الممر. هل

نسمعني الآن ؟ هاهي لؤلؤتك هل تفهمني وهل أنت تفي ما لقوله
لك ؟ لقد قتلت رجلا . ويجب علينا أن نلوذ بالفرار . فهم سيجيلون
للبحث عدا . أتفهم ذلك ؟ وينبغي علينا أن نهرب قبل بزوغ ضوء
النهار .

فقال كينو في قلق : لقد وقع هجوم على .. قلجأت للصرب
لكي أنقذ حياتي .

فتساءلت جواتا : هل تذكر أحداث الأمس ؟ .. وهل تعتقد
أن ذلك سيحدثي ؟ .. هل تذكر رجال المدينة ؟ .. وهل تعتقد أن
نوصيحتك للأمور سيحدثي ؟

ومسح كينو نفا عميقا وقاوم للضعف الذي سرى في كيانه .
وقال : لا .. أنت على صواب . وذهبت القوة في لرائكه وأصبح
رجلا مرة أخرى .

وقال : اذهبي إلى المنزل واحضري كويوتيكو واحضري معك
كل القمح الذي نحتاج . وسوف أقوم أنا بالنزال الزورق إلى الماء
وسوف نذهب بكل تأكيد .

ثم أخذ معه سكينه وترك زوجته . وسار متعللاً نحو الشاطئ
ووصل إلى زورقه . وعندما كشفت السحب عن ضوء القمر مرة
أخرى شاهد ثعباناً كبيراً في قاع زورقه . فاجتاحه غضب هائل وأدى
الغضب إلى تزايد قوته . وكان الظلام يحلق في تلك الآونة على
عائلته . وبدأت موسيقى العزف تملأ أرجاء الليل وتعلق فوق أشجار
المنجروف الاستوائية ونصيح في ضربات الأمواج زورق هذه
الذي غلب بالمصير مراراً ومرات قد نفوا فيه ثعباناً كبيراً . إن
هذا في حد ذاته شر مستطير إلى أبعد المدود . إن قتل رجل
لا يتساوى في الشر مع قتل زورق لأن الزورق ليس له أولاد ولأن
الزورق لا يستطيع حماية نفسه ، وجرح الزورق لا يلتئم .

وكان غضب كيتو ممزوجاً بالجزن والآسى إلا أن هذا الشيء
الأخير قد زاد من تماسكه الداخلي . إذ أصبح حيواناً في تلك الآونة
وأصبح مستعداً للاختباء ومستعداً للهجوم ، وأصبح يعيش فقط من
أجل الحفاظ على نفسه وعلى أسرته . ولم يكن واعياً بالآلام التي
تدب في رأسه . وقفز إلى الشاطئ وسار إلى خط الشجيرات ومنها
إلى منزله المشيد من الأغصان ولم يخطر على باله أن يأخذ إحدى

الزوارق الخاصة بحجراته . ولم يسبق أن خطر على ذهنه ذلك ذات يوم بل ولم يكن يتصور من قبل أن يقوم أحد بخرق زورق واحداً ثقب فيه .

وأخذت الديكة في الصباح ولم يعد بزوغ الفجر بعيد . وتسلل الدخان من النيران الأولى من بين حوائط المنازل المعشيدة بالأغصان وتصاعدت إلى الهواء رائحة اعداد قطائر القمح وبدأت طيور الفجر تغر بالفعل بين الشجيرات وكان القمر الضعيف قد أخذت يفقد ضروبه وراحت المسحب تتكاثر تجاه الجنوب .

وهبت الرياح في انعاش على مصب النهر . كانت رياحا قلقة وعصبية وتحمل في أنفاسها رائحة العاصفة .. وكان هناك تغير وثقل وثقل في الهواء .

وشعر كينلو وهو يهرول تجاه منزله بالصخب وهياج . ولم يكن ذهنه مشغولاً في تلك الآونة لأنه لم يكن أمامه سوى شيء واحد يفعله وانتهت يد كينلو أولاً إلى اللؤلؤة المعلقة الموجودة في داخل قميصه ثم اتجهت يده إلى السكين المتدلية تحت قميصه .

وشاهد توهجا قليلا أمامه وبخط شديد على الفور لهدبها عاليا
يتصاعد فجأة في الظلام مع حدوث زلزال فرفعة عالية وأضاءت
للديوان العالية الممر. فأنطلق كينو بأقصى سرعته حيث أدرك أن
المنزل المحترق هو منزله. كما أدرك أن كافة المنازل الأخرى
يمكن أن تحترق هي الأخرى في لحظات قليلة. وبينما كان يجرى
شاهد هيكلا يجرى نحوه.. لقد كانت جراتا هي التي تجرى معها
كويونينو بين ذراعها بينما بطانية كينو تعلق في يدها حيث كانت
تقبض عليها في أحكام.. وكان المطلق للرصيع يلن في خوف.

وكانت عينا جواتا متسعين وخائفين في رعب. وأدرك كينو
أن منزله قد أتت عليه الديوان وانتهى تماما ولم يوجه أسئلة لجواتا.
كان يعرف. ولكنها قالت: «لقد تم تمزيق المنزل تماما وتم حفر
أرضيته. وحتى صندوق الطفل قد قلب رأسا على عقب. وبينما
كنت أنظر شاهدتهم وهم يشعلون النيران في المنزل من الخارج».

ولمقت الديوان المتوحشة ضروا قويا على وجه كينو. فسألها:
«ومن هم الذين فعلوا ذلك؟»

فَقَالَتْ : اَلَسْتُ اُنْزِي . وَاَسْتَطَرَدْتُ : اَلِهَيْبَا كُلَّ الْمُظْلَمَةِ .

وَبَدَأَ الْجِيرَانُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ يَنْتَفِقُونَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَشَاهَدُوا
النَّارَ الْمُنْسَاقِطَ وَدَاسُوا عَلَيْهِ بِأَرْجُلِهِمْ لِكَيْ يَنْقُذُوا مَنَازِلَهُمْ مِنْ
النَّوْزَانِ . وَدَبَّ الْخَوْفُ فَجَاءَ فِي أَرْصَالِ كَيْدُو . فَالضُّوءُ قَدْ جَعَلَهُ
يَشْعُرُ بِالْخَوْفِ . وَتَذَكَّرَ الرَّجُلُ الَّذِي يَرْفُدُ مَيْتًا فِي الْأَدْعَالِ بِجَوَارِ
قَمَرٍ فَأَخَذَ جَوْلًا مِنْ ذِرَاعِهَا وَجَذِبَهَا إِلَى ظِلَالٍ لَحْدَى الْمَنَازِلِ
بَعِيدًا عَنِ الضُّوءِ لِأَنَّ الضُّوءَ كَانَ خَطَرًا بِنَفْسِهِ لَهُ . وَرَاحَ يَتَدَبَّرُ
الْأَمْرَ لِلْعُضَاتِ وَبَدَأَ يَشُقُّ طَرِيقَهُ مُسْتَكْرًا فِي الظَّلَالِ إِلَى أَنْ وَصَلَ
إِلَى مَنْزِلِ جَوَانِ تُوْمَاسَ شَقِيقِهِ وَاتَّزَقَ إِلَيْهِ مَدْخُلَ الْمَنْزِلِ وَجَذِبَ
جَوْلًا وَرَاحَهُ . وَفِي الْخَارِجِ كَانَ بِاسْتَطَاعَتِهِ سَمَاعَ صِرَاحِ الْأَطْفَالِ
وَصَبِيحَاتِ الْجِيرَانِ لِأَنَّ لَصَدْقَاءَهُ اعْتَفَدُوا أَنَّهُ رِيحًا كَانَ نَائِمًا فِي
بَاطِنِ الْمَنْزِلِ الْمُحْتَرَقِ .

كَانَ مَنْزِلُ جَوَانِ تُوْمَاسَ يَكَادُ بِشَبْهِ نَمَامَا مَنْزِلِ كَيْدُو : كَانَتْ
كُلُّ الْمَنَازِلِ الْمُشِيدَةِ مِنْ اللَّقْظِ مُشَابِهَةً تَقْرِيبًا . كَانَتْ كُلُّهَا تَسْمَعُ
بِعَسْرِ بِلِ الضُّوءِ وَاللَّهْوَاءِ حَتَّى أَنْ جَوَاتَا وَكَيْتُو الْجَالِسِينَ فِي رُكْنِ
مَنْزِلِ الشَّقِيقِ كَانَ بِمَقْدُورِهِمَا مَشَاهِدَةُ لِسَنَةِ الْهَيْبِ الْمُتَصَاعِدَةِ مِنْ

خلال الحائط. شاهدنا الأسد التهب الطويلة الغاضبة وشاهدنا سقوط
السقف ورأينا النيران وهي تخدم بسرعة مثلما تخدم فيران
الأغصان بسرعة. وسمعا صرخات التحذير الصادرة عن
أصدقائهما، والصرخات الحادة العدوانية التي تطلقها أبولونيا زوجة
جوان توماس. فهي بصفتها أقرب النساء لهما من الناحية العائلية
كانت تصدر التحايا ونواها رسميا على وفاة العائلة.

ولمركت أبولونيا لها ثرنتى شال الرأس الذي يحيى في المرتبة
الثانية من حيث الأفضلية. فاندفعت عائنة الى منزلها لكي تأخذ
أفضل شال عندها. وبينما كانت تبحث وتفحص في صندوق بحول
الحائط، قال صوت كينو في هذوم: «يا أبولونيا، لا تصرخي
بصوت مرتفع. نحن لم نصبدا أى ضرر. لم نصب بأى أذى!»

فتساءلت: «كيف جئنا إلى هنا؟»

فقال الأنسالى.. «واللهي الآن الى جوان توماس واحضره
الى هناك ولا تخبرى أى شخص آخر بوجودنا لأن هذا مهم بالنسبة
لنا يا أبولونيا.»

فصمتت ولمتدت يداها في حيرة وعجز أمامها وقالت: وهو
كذلك يا شقيق زوجي.

وبعد لحظات قليلة رجع جوان توماس معها، وأضاء شمعة
وجاء اليهما في الركن الذي يربطان فيه ثم قال: «يا أبولونيا
راقبي الباب ولا تسمحى لأى شخص بالدخول». لقد كان جوان
توماس هو الشقيق الأكبر منا وتولى مهمة السلطة القيادية وقال:
«والآن يا أخى. احكى لى».

وقال كينزو: لقد وقع على هجوم فى الظلام.. وأثناء المعركة
فُتلت رجلا. فقال جوان توماس بسرعة: «من هو؟».

«أست أدري. كانت الدنيا حالكة الظلام.. ظلام دامس ونوع
معين من الظلام».

فقال جوان توماس: إنها اللؤلؤة. اللؤلؤة هى السبب.
يوجد هناك شيطان فى هذه اللؤلؤة. كان ينبغي عليك أن تتخلص
منها بالبيع وتخطى ذلك الشيطان. وربما كانت الفرصة مازالت
سائحة أمامك لتبيعها وتشتري السلام والطمأنينة لنفسك.

فقال كيثو: يا أخى العزيز. لقد تعرضت لأهانة أشد عمقا من حياتى ذاتها. لأن زورفى على الشاطئ قد ثقب وكسر ولأن منزلى قد حرق وفى اللادغال يرفد رجل ميت. ولم تعد هناك وسيلة نعيننا على الهرب. يجب عليك أن تخبئنا يا أخى.

ونظر كيثو عن كتب وفى ايمان فشاهد القلق العميق يتوغل فى عيني أخيه. وتوقع منه أن يرفض هذا المطلب فصارع إلى القول: «إلى أن يمر يوم واحد فقط وإلى أن يظهر الضوء الجديد. وعلمتُ سرحل».

فقال جوان توماس: «سأخيلكم بكل تأكيد».

وقال كيثو: «انتى لا أريد أن أجلب المخاطر والأخطار لكم.. لنتى أعرف اتى أصبحت مثل مرضى الجنام. ولذلك سأذهب الليلة وبذلك تكون أنت فى أمن ولمان».

فقال جوان توماس: «سأحميك بكل تأكيد». ثم نادى على زوجته: «يا جولونيا. أغلقى الباب ولا تقولى لى همس يفهم منه أن كيثو موجود هنا».

وجلسوا في هدوء طوال اليوم بين طيات الظلام بالمنزل، وكان باستطاعتهم سماع الجيران وهم يتحدثون عنهما ومن خلال حوائط المنزل تمكنوا من مشاهدة جيرانهم وهم يفتشون بين الرماد بحثا عن العظام، وسمعا بهما جاثمان في منزل جوان توماس الصدمة وهي تسرى في عقول جيرانهما لدى سماع أنباء الزورق المكسور.

وخرج جوان توماس ليندس بين الجيران وبعد شكوكهم وراح يقدم لهم النظريات والأفكار عما حدث لكثير وجوانا والمطلقات الرضيع وقال لواحد من الجيران: «المعتقد أنهم قد اتجهوا جنوبا على طول الساحل للهرب من الشر الذي كان يلاحقهم»، وقال لشخص آخر: «كثير لا يمكنه أبدا أن يترك البحر، وربما يكون قد عثر على قارب آخر»، وقال: «لقد مرضت أبولونيا بسبب الحزن الشديد».

وفي ذلك اليوم ازادت سرعة الرياح وزلحت تضرب في الخليج وتمزق الأعشاب البحرية التي تصطف على الشاطئ... وراحت الرياح تزار بين المنازل المشيدة من الأضراس، ولم يكن هناك زورق آمن فوق الماء. فقال جوان توماس بين

جيرانه : لقد ضاع كبوتو. لذا كان قد ذهب إلى البحر يكون قد غرق الآن.. وعقب كل زيارة يقوم بها بين الجيران كان جوان ترمان يرجع معه شيء ما استعاره من الجيران.. أنا أحضر حقيبة صغيرة متسوجة من الفئس مليئة بالبقول الحمراء كما أحضر قرعة مليئة بالأرز.. واستعار فلجاتا مئيدا بالفلل المعنف وككلة من السلاح، كما أحضر سكيدا يبلغ طولها نحو ١٨ بوصة، وكانت ثقيلة مثل فأس صغير فهي آلة وسلاح في آن واحد!

وعندما شاهد كينو المكين الخاصة به برقت عيناه وداعب النصل، وأخذ يفحص الحاقة باصبع الأبهام.

وصرخت الرياح فوق الخليج وحولت العباء إلى اللون الأبيض وتمأملت أشجار المنجروف في علف مثل العاشية المنعورة، وتصاعدت الرمال الداعمة من الأرض وتعلقت على شكل سحابة خائقة فوق البحر. ودفعت الرياح المسحب ولزاحت المسحب من السماء وجرفت رمال المنطقة مثل الثلج.

وبعدئذ وعندما اقترب المساء تحدث جوان توماس طويلاً مع أخيه وقال له : إلى أين ستذهب ؟

فقال كينزو : إلى الشمال .. لقد سمعت أنه توجد هناك مدن في الشمال .

فقال جوان توماس : اتجنب الشواطئ ، فهم قد وضعوا فرقة للبحث على الشواطئ ، والرجال بالمدينة سيبحثون عنك ، هل ملائت محتفظاً بالكرة ؟

فقال كينزو : اتلى محتفظ بها . وسوف أظل محتفظاً بها . ولقد كان من الممكن أن أقدمها كمسحة للقراء والمحتاجين ولكنها الآن للنفس الخاص بي وتعتبر حياتي وسوف أحتفظ بها .. وكانت عيناها جامدتين وقاسيتين ومريرتين .

وانخرط كويوتيتو في شيوخ وبكاء فراحات جوانا تعتمد ببعض التعاويذ السحرية فوق جسده لكي يكتف عن البكاء .

وقال جوان توماس : «الرياح على ما يرام .. وأضفاف :
«ولن تكون هناك آثار أقدام» .

وغادروا المكان في هدوء تحت جنح الظلام وقبل أن يرتفع
القمر في السماء . وفقت العائلة بطريقة رسمية في منزل جوان
توماس .. وحملت جوانا كويوتينو على ظهرها وغطته وأمسكته
بشال رأسها ، فدام الطفل الرضيع وقد انحرف خذه على كتفها .

كان شال الرأس يغطي الطفل الرضيع وكان أحد طرفي الشال
يغطي أنف جوانا لكي يحميها من هواء الليل الشرير . وعانق
توماس شقيقه عناقاً مزوجاً وقبله على كلتي وجنتيه وقال : «الذهب
في رعاية الله» .

وكانت تلك العبارة شبيهة بالموت . واستطرد : «لن تتخلي
عن اللؤلؤة ؟»

فقال كويتو : «لقد أصبحت اللؤلؤة هي كل حياتي وروحي .
فإذا تخلفت عن اللؤلؤة سأفقد حياتي وأذهب أنت أيضا في رعاية
الله» .

الفصل السادس

وهبت الرياح في وحشية وقوة وتنفذهم بقطع من العصي
والرمال والصخور الصغيرة . فحذبت جوانا وكيثو ملابسهما نحوهما
في احكام ، وضطيا أنفيهما وخرجا إلى العالم .

كانت السماء خالية من السحب بسبب شدة الرياح . . وكانت
للنجوم باردة في السماء السوداء . وسار الاثنان في حرص وحذر
وتجنبوا الدخول إلى وسط المدينة لكي لا يشاهدا أي شخص قائم
من خلال فتحة باب أحد المنازل وهما يمران بجواره . لأن المدينة
كانت قد أغلقت نفسها في مواجهة الليل وأي شخص يتحرك هنا
وهناك في الظلام يمكن أن يثير الانتباه .

وشق كينو طريقه في حذر حول أطراف المدينة، واستدار
متجها إلى الشمال.. وإلى الشمال مسترشدا بالنجوم.. وعثر على
الطريق الرملي المليئ بالحفر والأخاديد والذي يؤدي إلى الطريق
الريفي المليئ بالشجيرات.. والذي يتجه إلى مدينة لورييتو..
حيث يوجد المكان الذي ظهرت فيه معجزة العتراء.

وكان كينو يشعر بالرمال المثارّة وهي ترتطم بساقية.. وكان
مسرورا لذلك حيث كان يدرك أنه لن تكون هناك آثار للأقدام،
وأوضح له الضوء الخافت المتراص من النجوم الطريق الضيق
الذي يتخلل المناطق الريفية المليئة بالشجيرات. وكان باستطاعة
كينو سماع الأصوات الخافتة لقدمي جولنا خلفه.. كان يسير
بسرعة وهدوء وكانت جولنا تسرع الخطى وراءه لكي لا تتخلف
عنه.

كان هناك شيء ما قديم يتحرك في داخل كيان كينو، فمن
خلال خوفه من الظلام والشياطين التي تلازم الليل كان هناك
ندفخ من الليهة والانتعاش : كان هناك شيء ما حيواني يتحرك
في داخله، حتى أنه كان حذرا ومعتزما ومتيقظا وخطيرا، شيء ما

قديم محفور في ماضى أهاليه كان حيا في داخله كانت للرياح
تهب عند ظهوره وكانت النجوم ترشد خطاه .

وصاحت الرياح وصغرت في الشجيرات واستمرت العائلة في
السبر على وثيرة واحدة ساعة وراء ساعة .. ولم يشاهدا أي
شخص ولم يشاهدا أي شخص وأخيرا وإلى اليمين منهما ارتفع
الغمر باهت الضوء .. وعندما ارتفع هبات للرياح ولمصبحت
الأرض ساكنة .

الآن أصبح بعقدورهما مشاهدة للطريق الصغير أمامهما حيث
كانت هناك آثار عجلات محفورة بعمق في الرمال ، ونظرا لأن
الرياح قد هدأت فقد أصبح من المتوقع أن تكون هناك آثار أقدام
منطبعة على الرمال الا أنهما أصبحا على مسافة كبيرة من
المدينة ، وربما لا يلاحظ أحد آثار أقدامهما . وكانا يمشيان في
هرم من فوق الأخابيد التي أحدثتها العجلات وكانت جوارتا تتبع
نفس خطواته . ولما مرت عربة كلرو كبيرة واحدة متجهة إلى
المنبلة في الصباح فإنها ستمسح كل آثار الأقدام الناجمة عن
مرورهما في ذلك الطريق .

ولستمرا في السير طوال الليل ولم يقبرا من إيقاع خطواتهما على الإطلاق، واستيقظ كريوتيتو مرة واحدة فنقلته جونا ليصبح أمامها وراحت تهدئ من روعه إلى أن استغرق في النوم مرة أخرى.

وكانت شرور الليل منقشرة هنا وهناك حولهما كانت الذئاب تصبح وتتصاحك في الأنغال، وكانت البومات تطلق صرخات الذعر والألم وتهسهس فوق رؤسهما.. ومتى حيوان كبير في كثاقل مبعداً عنهما محطما الشجيرات أثناء سيره.. فأمسك كثير بمقبض سكينه الكبير مدحفاً للوقاية منه.

كانت موسيقى اللؤلؤة مذهجة بالنصر في داخل عقل كينو.. وكانت نغمة العائلة الهادئة تتساب تحتها. لقد سار طوال الليل. ومع ظهور النباشير الأولى للفجر، بحث كينو عن مكان سرى على جانب الطريق للتخفى والاستلقاء فيه أثناء فترة النهار.

وعثر على مكان ملائم بالقرب من الطريق، عبارة عن مساحة صغيرة من الأرض خالية من الأشجار وربما استخدمتها

الغزلان للامتطاع فيها، وكانت تحجبها عن الطريق سداة كثيفة من الأشجار الجافة الهشة وعندما جلست جوانا واستقرت لترضع طفلها، ورجع كيئو إلى الطريق. وكسر غصنا من شجرة وراح يمسح به آثار الأقدام عند المكان الذي انعطفا فيه عن الطريق الرئيسي. ويعتد ولدى ظهور المنوء الأول سمع صرير عجلات إحدى العربات، فجلثم بجوار الطريق. وشاهد عربة كلرو ثقيلة ذات عجلتين يجرها ثور تنطلق على الطريق وعندما اختفت عن الأنظار تماما رجع إلى الطريق. نظر إلى الأخاديد المحفورة وأدرك أن أنطباعات الأقدام قد فلتت، وراح يزيل آثار أقدامه مرة أخرى ثم رجع إلى جوانا.

وقدمت له فطائر القمح اللينة التي كانت ليولوبا قد أعدتها من أجلهما. وبعد قليل استسلمت للكرم لكي ترتاح بعض الشيء، ولكن كيئو جلس على الأرض وأخذ يصعلق في التراب الموجود أمامه. شاهد النمل يتحرك. صف صغير من النمل يتحرك بانقرب من قدمه، فوضع قدمه في طريق النمل، فتساق طابور النمل فوق

مشط قدمه، واستمر في طريقه وترك كيدو قدمه في مكانها وزاح
برقب النمل وهو يتحرك فوقها.

وأشرقت الشمس في سخونة. لم يكونا في تلك الأونة قريبين
من الخليج وكان الهواء جافاً وحاراً حتى أن الشجيرات كانت تنكوى
في ألم بسبب الحرارة. وانهملت منها رائحة طيبة، وعندما
استيقظت جوارنا لدى ارتفاع الشمس في كبد السماء، قال لها كيدو
أمورا كانت هي تعرفها بالفعل من قبل.

قال لها مشهوراً بيده: واحترسي من ذلك النوع من الأشجار
هناك.. لا تلمسي هذه الأشجار بيديك، لأنك إذا فعلت هذا ثم قمت
بعد ذلك بلمس عينيك فإن هذا يؤدي إلى فقدان البصر. واحترسي
من الشجرة التي تسمى وتلطف العصارة. مثل تلك الشجرة
المرجونة هنالك.. لأنك إذا كسرت هذه الشجرة ستصاب منها
الدماء للحمراء.. وهذا قاتل سيئ وهذا نحن!.

وأومأت برأسها وأبتمعت في وجهه قليلاً لأنها كانت تعرف
كافة هذه الأمور.

وتساءلت: «هل سيقبضوننا؟ هل تعتقد أنهم سيحاولون العثور علينا؟»

فقال كيتو: «إنهم سيحاولون ذلك، وأي شخص منهم يعثر علينا سيأخذ اللؤلؤة. أوه. إنهم سيحاولون.»

قالت جوانا: «ربما كان التجار على صواب من حيث أن اللؤلؤة ليست لها قيمة. وربما هذا كان كله مجرد وهم وخداع.»

فوضع كيتو يده في ملابسه وأخرج اللؤلؤة. وترك الشمس تتلاعب بها إلى أن تشتت في عيبه وقال:

«لا. لو أنها خيرت ذات قيمة لما حاولوا سرقتها.»

«هل تعرف الشخص الذي هاجمك؟ هل التجار أنفسهم هم الذين هجموا عليك؟»

فقال: «لست أدري. فانا لم أتمكن من رؤيتهم، وأخذت بنعم للنظر في اللؤلؤة ليحتر على رؤياه وتفيلاته. وقال: «عندما نبيعها في نهاية الأمر سيكون لدينا بندقية.»

ثم أخذ ينفض السطح اللامع بحثاً عن بلذيتته، إلا أنه لم يشاهد سوى جثة ناكثة متكومة على الأرض تتدفق دماء لامعة من حلقها. فقال على وجه السرعة: أولسوف تتم مراسم زواجنا في كنيسة كبيرة.

وفي اللؤلؤة شاهد جواثا يوجهها النامى المضروب ترحلت بين طيات الليل متجهة إلى منزلها. فقال فى احتياج مسعور: اوبلنا يجب أن يتعلم القراء.

وهناك فى داخل اللؤلؤة كان وجه كويوتينو متورماً ومحموماً بسبب الدواء.

فسارع كينو الى اعادة اللؤلؤة الى داخل ملابسه حيث كانت موسيقى اللؤلؤة قد أصبحت شريرة ومشطومة فى داخل أذنيه وأصبحت دلخلة فى نسيج موسيقى الشر.

وحسرت الشمس الساخنة فوق الأرض حتى أن كينو وهوانا تحركا الى الظلال غير المكتملة للشجرة وفرت طيور رمادية صغيرة فوق الأرض تحت الظلال. وثعت حرارة النهار، استرخى

كيدو وغطى عينيهِ بقيعته ولف بملأفه حول وجهه لايعد الذباب
عنه واستسلم للثوم.

ولكن جولنا لم نلم - جلست هادئة مثل حجر.. وكان وجهها
هادئا. وكان فمها مازال متورما في المكان الذي ضربها كيدو
عليه، وراح الذباب الكبير يطن حول الجرح الموجود فوق ثقلها،
إلا أنها كانت تجلس بدون حراك مثل هارس أو خفير. وعندما
استيقظ كويونيتو وضعتة على الأرض أمامها وشاهدته وهو يلوح
بإيديهِ ويرقص بقدميه وأخذ يبتسم لها ويقرقر في وجهها إلى أن
ابتسمت هي الأخرى. والنقط غصنا رقيقا صغيرا من الأرض
وباعبته به ووخزته به وخزا خفيفا، وأعطته ماء في القرعة التي
كانت تعملها في الصرة الخاهية بها.

وتحرك كيدو في حلم. وصاح بصوت بلعومي وتحركت يده
في قتال رمزي. ثم توجع في أنبين ونهض جالسا فجأة وقد اتسعت
عيناه، كما اتسعت فتحتا لفته نحو الخارج. وراح يصفي في انتباه
فلم يسمع سوى الحرارة المتشنجة وهسهسة للمسافات.

فتساءلت جوانا : «ماذا في الأمر؟».

فقال : «اسكتي!».

- أنت كنت تعلم،

- «ريعاء».

إلا أنه كان قلقا وعندما أعطته كعكة قمع من المخزون الخاص بها، توقف أثناء تصنيع الطعام لكي يصغي في انتباه. كان قلقا وعصيبا، وألقى نظرة من فوق كتفه ورفع سكبنة الضغط ونحسب نصلها.

وعندما فرق كويوتيتو فوق الأرض قال غيلو: «اسكتيه .. لا أريد أي صوت»

فتساءلت جوانا : «ماذا في الأمر؟».

- «الست أنري».

وراح يصغي في انتباه شديد مرة أخرى وقد ظهر هموم حيواني في عينيه، ثم نهض واقفا في صمت شديد وجثم متحذبا

وسق طريقه بين الشجيرات في اتجاه الطريق، ولكنه لم يطأ
بقدميه الطريق، وزحف تحت سائر شجرة شوكية وجملق على
طول الطريق الذي جاء منه.

وعندئذ شاهدهم يتحركون على ذلك الطريق.. فتصلب جسده
وجذب رأسه إلى أسفل وألقى نظرة خاطفة من تحت غصن ساقط.
فتمكن من مشاهدة ثلاثة هياكل على مسافة بعيدة؛ اثنان منهم
يسيران على الأقدام والثالث فوق ظهر حصان، ولكنه كان يعرف
وظيفة هؤلاء الناس.

وسرت في كيانه قشعريرة خوف، ورغم بعد المسافة إلا أنه
تمكن من مشاهدة الرجلين اللذين يسيران على الأقدام وهما
يتحركان في بطم ويتحنيان على الأرض، كان أحدهما يتوقف
وينظر إلى التراب في حين يضم الآخر إليه، لقد كانوا هم الناس
الذين يفتقون آثار الأقدام، وهم أتلس مدرسون بحيث يمكنهم تتبع
آثار أقدام كيش القبال في المناطق الجبلية الحجرية. وهم أناس لهم
نفس حماسية كلاب الصيد. وربما يكون هو وجوانا قد خرجا من
الأخاديد المحفورة بالطريق والناجمة عن آثار العجلات وهؤلاء

الناس المنتمون للأماكن الصحراوية الداخلية البعيدة عن الشواطئ هؤلاء الصيادون المقتنون للأثار.. يمكنهم ملاحظة قشرة مكسورة أو كومة تراب صغيرة تعثر فيها أحد، وختقهما كان يوجد رجل ناكث يمنطى حصانا، وقد غطى أنفه ببطانية، ويجوار سرج الحصان كانت توجد بلدقية تلمع تحت ضوء الشمس.

كان كينو مستلقيا في نخشب مثل جذع الشجرة وكتم أنفاسه وانجهد عيانه إلى المكان الذي مسح فيه آثار الأقدام، حتى عملية المكس هذه قد تكون من العلامات التي تنبه مفتفي الأثر، كان يعرف جيدا هؤلاء الصيادين الذين يعملون بالأماكن الداخلية، ففي منطقة لا يوجد بها سوى القليل من حيوانات الصيد حاولوا العيش بسبب مقدرتهم على الصيد، وهم الآن يصطادونه.. كانوا يعدون ويخطون بسرعة على الأرض مثل الحيوانات وعثروا على علامة وجثموا فوقها بينما بقي الرجل المنطى للحصان منتظرا.

وعوى فصاصو الأثر في شيء من الاتين مثلما تفعل الكلاب الهائجة فوق ممر في طريق وعرة، فسحب كينو سكينه الضخم في بطنه وأمسك بها في يده ليكون في حالة استعداد. كان يعرف ماذا

بها في هذه ليكون في حالة استعداد ، كان يعرف ماذا ينبغي عليه أن يفعله ، لو عثر فصاصو الأثر على المكان المكتوب ، فإنه يجب عليه أن يهجم على الرجل الممتلي الحصان ويقتله بسرعة خاطفة ويأخذ الهندية . وكانت تلك هي الفرصة الوحيدة أمامه في العالم . وبينما كان الأشخاص الثلاثة يقتربون تدريجيا على الطريق قام كيدو بحفر حفرة صغيرة بأصابع قدميه الموجودة بالصنديل وذلك حتى يتمكن من القفز بدون سابق إذار ولكي لا تنزلق قدماءه . . ولم يكن لديه سوى رؤية قليلة تحت انغصن المكسور .

وفي تلك اللحظات سمعت جوارنا القابعة في مخبأها الأصوات الخافتة لحوافر الحصان وبدأ كويوتيتو يفرقز فأمسكت به بسرعة ووضعته تحت الشال الخاص بها وقدمت له شيئا فالتزم بالصمت . وعندما اقترب ملتفوا الأثر لم يشاهد كيدو سوى سيقانهم وأرجل الحصان من تحت غصن الشجرة الساقط . شاهد الأقدام الداكنة للرجال وثيابهم البهتاء المعزقة الهائلة ، وسمع صرير جلد المبرج وسمع خشخشة المهاميز . وتوقف ملتفوا الأثر عند المكان المكتوب ، ورلحوا يدرسونه . . . وتوقف الرجل الممتلي الحصان ، وألقى

الحصان برأيه إلى أعلى وخشخش لسطوانة الشكيمة، تحت
نفسه... وسهل الحصان فاستدار الشفصان للداكتان وراحا
يلحصان الحصان ويرقبان أنفه.

وكنتم كينوا أنفاسه تماما. ولكن ظهره ألمه بعض الشيء
وتصلبت عضلات ذراعيه ورجليه مع التوتر.. وتكون خط من
العرق فوق شفته العليا. انحنى قصاصوا الأثر للخطات طويلة فوق
الطريق. وبعدذ استمعروا في سيرهم في بطة وراحوا يدرسون
طبيعة الأرض أمامهم وتحرك الرجل المعطى للحصان خلفهما.
كانوا يسرون بسرعة ثم يتوقفون وينظرون ويستأنفون السير
السريع. وكان كينوا يدرك أنهم سوف يرجعون وأنهم قد يقومون
بأعمال التطويق والبحث والقاء للنظرات الخاطفة السخيفة،
والانقضاء مكان يدرك أنهم سيرجعون إن أجلا أو عاجلا إلى آثار
أقدامه المخطاة.

وانزلق راجعا للوراء ولم يهتم باخفاء آثار أقدامه. ثم يكن
بإستطاعته ذلك. إذ كانت هناك الكثير من العلامات والدلائل
الصغيرة والكثير من فروع الأشجار المكسورة وأماكن الشجار،

والكبير من الحجارة المزاحة من أماكنها . وكان هناك هلع شديد
يطلق في داخل كينرو في تلك الآونة هلع شديد من الهروب .
فرجال الأثر سيطرّون على آثار أنصامه وكان يدرك ذلك تماماً .

ولم يكن هناك شيء بفعله سوى للهروب . وانحراف عن
الطريق واتجه في سرعة وصمت إلى المخبأ الذي تختبئ فيه
جوانا . فنظرت نحوه مستفصرة .

فقال : قصاصو الأثر . واستطرد : قد جاء وال

وبعد ذلك لاحتاحته موجة من الشعور بالعجز واليأس .. وخلا
وجهه من التعبير أو الانفعال ، وأطلق الحزن من عنبه . وقال :
ربما ينبغي على أن أضعهم بمسكون بي .

فلهضت جوانا واقفة على قدميها على الفور . ووضعت يدها
على ذراعه وقالت في صراخ خشن : أنت معك اللؤلؤة . فهل
تعتقد أنهم سيعدون بك حياً ليقولوا أنهم قد سرقوا منك اللؤلؤة ؟

وتأهت يده وهي تتجه في بطن إلى المكان الذي خبأ فيه
اللؤلؤة في داخل ملابسه . وقال في ضحك : إنهم سيعطرون
عليها بكل تكريده .

فقلت : «ها . إسرع» .

وعندما لم تظهر عليه استجابة تمسألت : «هل تعتقد أنهم
يسمعون لى بأن أبقى على قيد الحياة ؟

وهل تظن أنهم سيسمعون للطفل الصغير هذا أن يعيش ؟» .

كانت كلماتها مثل النخس بالمهماز ، فوصل النخس الى هذه
مثل الضرب بالسياط . ، فتشابكت شفتاه وظهر التوحش فى عييه
مرة أخرى وقال : «ها تعالى سنذهب الى الجبال . . وربما نتمكن
من الافلات منهم بالذهاب الى الجبال» .

وراح يجمع فى جنون القرعات وللحبات الصغيرة للقليلة التى
نملى كل ممتلكاتهما . وحمل كيدو صرة فى يده اليسرى ولكن
للسكينة المنخفضة كانت تتحرك فى حرية فى يده اليمنى . وأفسح
الشجيرات من أجل جولنا وأسرعنا المخطى فى اتجاه الغرب نحو
الجبال الحجرية العالية . وهرولا بسرعة بين الطحالب المتشابكة
والنباتات الصغيرة .

كان هذا هروباً مليئاً بالترعب والهلع . ولم يحاول كينوا إخفاء
لثام أقدامه . كان يهزون ويركل الحجارة ويوقع الأوراق من
الشجيرات الصغيرة برغم أن هذه الأوراق قد ترسدت عن خط
سيرهما . وتدفقت حرارة الشمس العاتية فوق التربة الجافة التي
تحدث صوتاً كالصرير ، حتى أن الحياة النهائية ذاتها كانت تلتفض
احتجاجاً .

وثكن أمامهما كانت توجد أنجبال الجرانيتية العارية التي تبرز
بين حجارة التعرية وتقف متراصة ومتناحمة في مواجهة السماء .
وجرى كينوا من أجل الوصول إلى المكان العالي مثلما تفعل كافة
الحيوانات تقريباً التي تتعرض للمطاردة .

كانت هذه الأرض بدون ماء ومكتسبة بنبات الصبار الذي
يخزن الماء ، وبالشجيرات ذات الجذور العميقة التي تصل لمسافات
طويلة بداخل التربة من أجل الحصول على شيء من الرطوبة ،
وتفلق في تدبير أمورهما بعض الشيء . ونعت أقدامهما لم تكن
هناك تربة وإنما كانت هناك هخور متكررة إلى مكعبات صغيرة
وشراخ كبيرة ، ولكنها كلها غير معالجة بالماء .. وكانت هناك

روابي صغيرة من الأعشاب الجافة الحزينة نامية بين الأشجار
وهي أعشاب كانت تبرعمت وتمت بسرعة بعد حدوث هالة
وجيدة من الأمطار، وحقت بعض التقدّم وأسقطت حبوبها
وماتت.. وكانت الصفادع ترهب العائلة وهي تسير بجوارها وتدير
رؤوسها الصغيرة وتتخطى مبهمة وتختبئ وراء أقرب صخرة.
وكانت حرارة الشمس اللاسعة الحارقة لرقد فوق هذه المنطقة
الصحراوية وأمامها كان الجبال الحجرية تبنى باردة ومنعشة
ومريحة بهما.

وهرب كينو. كان يدرّك ما سيحدث بعد ذلك.. فالتهاثثون عن
آثار الأقدام بعد أن يقطعوا مسافة طويلة قليلة للأمام على الطريق
سيذكرون أنهم قد تركوا العمر وبذلك سيرجعون ويبحثون ويقتشون
ويكونون الآراء. وبعد وقت قصير سيبحثون على المكان الذي
استراح فيه كينو وجوانا. ومن هذا المكان سيصبح الأمر سهلاً
بالنسبة لهم. هذه الأحجار القليلة وأوراق النباتات الساقطة على
الأرض والأغصان المنزوعة والمساحات التي تظهر عليها آثار
الأقدام لدى انزلاق الأقدام عليها. وكام باستداعة كينو مشاهدتهم

فى داخل عقله وهم يذلقون على طول أنار الأقدام وهم يعون
بعض الناس فى شغب ووراءها ذلك للرجل الذى للمعنى
الحصان المعك بالهتفة، وقد ظهر عليه اهتمام قليل.

وعندئذ يحى عمله أخيراً لأنه لن يعود بهم. أوه. لقد بدأت
الآن موسيقى الشر تترنم هائلاً فى رأس كينو. كانت تترنم وتغنى
مع أنين وغواء الحرارة ومع القوى الجاف لخشخشة المسية
والعابيين، لم تكن للموسيقى منخمة وطاغية، ولكنها كانت سرية
وسامة، وكانت نقات قلبه بمثابة الأبقاع والنخمة للعصاوية لهذه
الموسيقى.

وبدا الطريق فى الصعود. ومع الصعود تزايد حجم الصعود
تدريجياً. إلا أن كينو كان قد أوجد مسافة بسيطة بين عائلته وبين
مقتنى أنار الأقدام.. واستراح قليلاً عقب تحقيق للصعود الأول. ثم
تسلق فوق جلمود صخري هائل ونظر وراءه فوق المنطقة التى
تسطع بالأنوار الباهرة. لأنه لم يتمكن من مشاهدة أعدائه، ولا
حتى الرجل المعطى الحصان بين الشجيرات.

وكانت جولنا قد جلست اقترافصاء تحت ظل للحمود الصفوى .
ورفعت رجاها الماء الى شفتى كويوتيتو فراح لسانه الجاف يمتص
الماء فى سراحة . ثم نظرت نحو كينو عندما رجع اليها . وشاهدته
وهو يفحص راسي . قدميها للمهرولين بسبب الأحجار والاشجيرات
فعلت قدميها بسرعة بجوفائها . ثم حاولته رجاها الماء ، ولكنه هز
رأسه . كانت عيناها ناصعتين فى وجهها المزهق . ، وبلى كينو
شفتيه المشفقتين بلسانه . وقال : « يا جولنا . ساستمر انا . . وأنت
سوف تختبين . . اننى سافودهم ورائى الى أرجاء الجبال وعندما
يخطون الموقع الذى تختبين فيه تبدأين فى الذهاب الى جهة
الشمال الى «لوريكو» او الى «ساندا روزاليا» . وبعد ذلك اذا تمكنت
من الهروب منهم سأجيبك . وهذه هى الوسيلة الوحيدة الآمنة
السيعة . »

ف نظرت نظرة عميقة فى وجهه للحظات وقالت :

« لا . نحن سنذهب معك »

فقال في خشونة: يا استطاعنى الانطلاق فى مزيد من
السرعة انا كنت بمفردى. وأنت متعرضين طقنا الصغير لمزيد
من الخطر انا جئت معى.

فكالت جواتا: لا،

وقال: يجب عليك فهذا هو التصرف السليم وهذه هى
رغبتي.

فكالت جواتا: لا،

وعندئذ راح يبحث عن الضعف فى وجهها. راح يبحث عن
الخوف أو التردد ولم يكن هناك شيء من هذا القبيل. كانت عيناها
شديتى اللعان. وحدثت هز كتفيه فى بأس، إلا أنه كان قد استمد
منها القوة. وعندما استأنفا انطلاقهما لم يعد هربهما ملينا بالهلع
العديد.

ومع ارتفاع هذه الأراضى نحو الجبال ظهرت عليها تغيرات
سريعة. إذ بدأت تظهر طبقات بارزة طويلة من صخور الجرانيت،
مع وجود تصدعات وشقوق عميقة بينها.. وبدأ كبلو يسير فوق

أحجار عارية لا تظهر عليها علامات تظنرا لأنه كان يقفز من حافة يارزة لأخرى . وكان يدرك أنه إذا فقد للطاردون آثار أقسامه فلنهم سبيلون ويدورون ويضيئون الكثير من الوقت قبل العثور على الآثار مرة أخرى . ولذلك فهو لم يتجه في خط مستقيم إلى الجبال بعد ذلك ، وإنما سار في خطوط متعرجة ، وفي بعض الأحيان كان يرجع إلى الجنوب ويترك علامة . وبعدئذ يتجه نحو الجبال فوق أحجار عارية مرة أخرى . كان العمر يرتفع في التحارب شديد حتى أنه بدأ يلهث أثناء صعوده .

وتحركات الشمس نحو الأسنان الحجرية العارية للجيبل واتجه كيتو نحو شق مظلم وظليل في السلسلة الجبلية ، فلم يكن هناك أية مياه فأنها ستكون هناك حيث شاهد من على مسافة بعيدة شيئا يسيرا من الغصنة والأوراق الخضراء . وإذا كان هناك أي مرور عبر السلسلة الحجرية الداعمة فإنه سيكون من خلال نفس هذا الشق العميق . وكان لهذا الشق مخاطرة لأن فصاصي الآثار سيفكرون فيه أيضا ، إلا أن زجاجة الماء الشاغرة لم تجعل تلك الفكرة تدخل إلى ذهن كيتو . . . وبينما كانت الشمس تميل للمغرب كان كيتو وجوانا

بكافحان في اعياء أثناء صعودهما فوق المنحدر الشديد في اتجاه
العمر المشقوق في صخور الجبل.

وهناك في أعلى الجبال الصخرية الرمادية ونحت قمة جبلية
منجهممة. وكان يوجد ينبوع ماء صغير، يهطل ويثور ويصدر
الفقاعات من شق في الحجر. وكان يغذي صيفا بالجديد المحفوظ
نحت المظلال. ومن وقت لآخر يتعرض للجفاف التام وتظهر في
فاعة صخور عارية وطحالب مائية جافة. إلا أنه في معظم
الأوقات تقريبا كان يتدفق بالماء باردا ونظيفا ومحبا للنفس
وجميلا، وفي الأوقات التي تسقط فيها الأمطار الفجائية السريعة
فانه يتعش ويصدر عامودا من المياه البيضاء المتدفقة الى أسفل
للعمر المشقوق الجبلي إلا أنه كان دائما بمثابة ينبوع صغير هزيل.
كان يبتقي ويصب مياهه في بركة وبعدئذ يسقط لمسافة مائة قدم
الى بركة أخرى، وهذه تسلب بالمياه الى أسفل مرة أخرى، مع
الاستمرار هكذا للأسفل وللأسفل إلى أن تخفى نهائيا، وعلى كل
حال لم تكن تبقى كميات كبيرة من المياه فلي كل مرة تسقط
فيها المياه فوق جرف شديد الانحدار كان الهواء المتعش بشرب

منها، كما أنها كانت تنسرب من البرك إلى النباتات الجافة . وكانت
الحيوانات تجبئ من مسافة أميال لكي تشرب من هذه البرك .
والأغنام البرية والغزلان والفزلن . . كلها كانت تجبئ لتشرب الماء .
والطيور التي تقضي يوماً بالأراضي المبللة بالشجيرات، كانت
تجئ ليلاً إلى البرك الصغيرة التي كانت تشبه السلاخ في هذا
لحمر المشقوق بالجل . . وإلى جوار هذا الحدول المائي الصغير
وبالأماكن التي يجمع فيها كميات كافية من القراب والتربة،
كانت تظهر مستعمرات النباتات والطحالب البرية وأشجار الخيل
القصيرة ونبات السرخس ونبات البرشاوشان ونبات الخبيزة
وأعشاب البراري الطويلة ذات القصبان المغطاة بالريش والتي
ترتفع فوق أوراق ذات أشواك مديبة . .

وفي البركة كانت تحش الضفادع والحشرات التي تنزلق على
سطح الماء كما كانت ديدان الماء تزحف فوق قاع البركة . وكل
شيء يحب الماء كان يجئ إلى هذه الأماكن المبللة القليلة .
وكانت القطط تأخذ قريبتها إلى هناك وتلعب الريش وتبعثره هنا
وهناك وتلعق الماء من خلال ألسنها الليلية بالدماء .

ولقد كانت البرك الصغيرة أماكن للحياة بسبب وجود الماء بها،
كما كانت أماكن للقلل والافتتال بسبب الماء أيضا.

وكانت أكثر الدرجات انخفاضاً في ذلك الزمن. وهي المكان
الذي يتجمع فيه جدول الماء قبل أن يهبط منسلها بسرعة لمسافة
مائة قدم ويختفي في الصحراء المليئة بالندى وقطع الحجارة
الصغيرة، بمثابة رصيف صغير من الحجارة والرمال. ولم يكن
يتدفق إلى البركة سوى خط رفيع من الماء في سمك القلم
الرماسي، ومع ذلك فقد كانت تكفي لملأ البركة بالماء وجعل
نباتات السرخس خضراء بالأمكن الباردة من المنحدر الصخري
وكان العشب الجلي أثري يتساقط الجبل الصخري... وكل أنواع
النباتات الصغيرة كانت تجد الراحة والارتياح في ذلك المكان.

وكانت السبيل قد خلقت شاطئاً رملياً صغيراً تتدفق إليه
البركة، وتفيض عليه. وكانت للبقالات المائية ذات اللون الأخضر
الفتح في الرمال الرطبة. وكان الشاطئ ممتلئاً بالندبات الغائرة،
والآثار الخفيفة الذاهبة عن أقدام الحيوانات التي جاءت من أجل
أن تشرب وتصفد.

وكانت الشمس قد مرت فوق الجبال الصخرية عندما شق كينو
وجوانا طريقهما إلى أعلى المنحدر المنكسر، ووصلوا أخيرا إلى
لحاء. فمن هذه المسلة كان يفتورها كسف ومشاهدة جميع أرجاء
هذه الصحراء المعرضة للشمس الحارقة، وحتى الخليج الأزرق
البادي على مسافة بعيدة، ووصلوا إلى البركة وهذا في غاية
الاعجاب والحب.

وهبطت جوانا على رجليها وراحت أولا تغسل وجه كوينتو
ثم ملأت زجاجتها بالماء وأسقت ابنها من ماء الزجاجة، وكان
الطفل الرضيع مرهقا وعصيبا وراح يبكي في صوت منخفض إلى
أن أعطته جوانا ثديها وبعد ذلك راح يفرق ويحاول الإمساك بها
وانشأب أظافره فيها. وشرب كينو في عطف ونهم شديد من البركة
مباشرة. وبعد ذلك تمدد لبعض الوقت بجوار الماء وأرخى جميع
عضلاته، وشاهد جوانا وهي ترضع الطفل. وبعد ذلك نهض واقفا
على قدميه وذهب إلى حافة المسلة التي يلزق عليها وراح ينظر
ويستكشف في المسافات المترامية أمامه في حرص وعناية.
فسقطت عذاه على نقطة لتصلب جسده. فعلى مسافة بعيدة أسفل

المنحدر تمكن من مشاهدة الشخصين اللذين يقتفبان الأثر كان
حجمها أكبر قليلا من النقطة أو للنملة المطلقة بسرعة، وخلفهما
كانت توجد نملة أخرى أكبر حجما.

وكانت هوانا قد استدارت للنظر إليه فشاهدت ظهوره يتعقب
ويتصلب.

فصاحلت في هدوء: «كم يبعدوا عنا؟»

فقال كينلو: «أثم سيصلون إلى هنا بحلول المساء». ونظر
نحو الفتحة الطويلة المنحدرة للثقب حيث تهبط المياه. وقال:
«يجب أن نذهب غربا، وراحت عيناه تبحث في الكنف الصخري
وراء للصدع المشقوق..»

وعلى مسافة ثلاثين قدم على الكنف الرمادي شاهد سلسلة من
للكهوف الصغيرة الناجمة عن للنخر والتآكل وعوامل التعرية.
فخلع سنده وابتدق صاعدا إليها ممسكا بالصخور العارية بأصابع
قدميه وراح ينظر إلى داخل هذه الكهوف الضحلة، كان عبقها لا
يزيد على عدة أقدام قليلة، كانت بمثابة تجويفات حفرتها الرياح..

إلا أنها كانت تنحدر قليلا لأسفل وللوراء. وزحف كهفو داخلا في
أكبر كهف بينها، واستقى على الأرض وأدرك أنه لا يمكن أن
يشاهده أحد من الخارج، ثم عاد بسرعة إلى جوفنا.

وقال: «يجب علينا أن نصعد إلى هناك، ربما ثم يمشروا علينا
هناك».

وملأت بالمطبع زجاجة الماء الخاصة بها حتى قمتها.. وبعد
ذلك ساعدها على الصعود إلى الكهف الضحل وأحضرت ثنائف
للطعام وناولها لها. وجلست جوفنا في مدخل الكهف وراحت ترفيه.
ولاحظت أنه لم يحاول إزالة آثار أقدامهما المنطبعة على الرمال.
وبدلا من ذلك نسلق صخرة الشجيرات بجوار الماء وراح بخريش
ويعزق في نبات المرهم والحب الجيلي أثناء سيره.

وبعد أن صعد إلى مسافة مائة قدم بدأ في الهبوط مرة أخرى،
ونظر في حذر وعناية نحو الكهف الصخري الطاعم في اتجاه
الكهف ليتأكد من أنه لم تظهر أية آثار أقدام وأخيرا صعد إلى أعلى
وزحف إلى داخل الكهف بجوار جوفنا.

وقال : «عندما يصعدون إلى أعلى سوف يزلقون إلى أسفل.. إلى الأراضي المنخفضة مرة أخرى، وكل ما أخشاه هو أن يصبح الولد. وكل مهمتك هي أن تجعله يلتزم بالنصمت ولا يصبح!».

فكألت : «أنه لن يصبح»، وزرعت وجه الطفل إلى وجهها وتظرت بعين في عينيه فحلق في وقار شديد في وجهها.

وقالت جوانا : «أنه يدرك جوانب الموقف».

وبعدئذ استلقى كينو في مدخل الكهف وقد وضع نقه على ذراعيه المنقاطعين وراح يراقب للظلال الزرقاء للجل وهي تتحرك عبر الصحراء المليئة بالشجيرات أسطهم، إلى أن وصلت إلى الخليج. وكانت الظلال الطويلة منتشرة فوق الأراضي.

وتأخر مجيئ مقتفوا الأثر كما لو كانوا قد وجدوا متاعب وتعقيدات مع آثار الأقدام التي تركها لهم كينو.. وكان الدغش قد ظهر عندما وصلوا أخيرا إلى البركة الصغيرة. وكان ثلاثتهم يسدرون آتذ على الأقدام لأن الحصان لا يستطيع أن يصعد متسلقا على المنحدر الشديد الأخير، ومن أعلى كانوا مثل هياكل رقيقة

تحت ضوء النطق الخافت، وهزول العقنفان للأثر هذا وهناك فوق
للشاطئ الصغير وشاهد آثار أقدام كبتو الصاعدة إلى أعلى نحو
الصخرة قبل أن يثريا من الماء. وكان الرجل الذي يحمل البندقية
جالسا على الأرض في استرخاء. وكان الرجلان الآخران قابعين
بالقرب منه ومع حلول الظلمة كانت سجاائرهم تتوهج وتخبو
وبعدئذ أدرك كبتو أنهم كانوا يأكلون وتراعى إلى سمعة النخمة
الخطيفة لأصواتهم.

وبعد ذلك هبط للظلام عميقا وأسود وفاتما في العمر المشقوق
بالجيل.. واقتربت من البركة الحبولات التي اعتادت أن تجيء
إليها، فسمعت رائحة الرجال هناك فانسأقت بعيدا مرة أخرى إلى
طبقات الظلام.

وسمع كبتو نعمة خلقه. وكانت جونا تهس اكويوثيتوا. كانت
توسل إليه أن يركن إلى الهدوء.. وسمع كبتو المطلق ينخرط في
تشيج وأدرك من الأصوات المذكومة أن جونا غطت رأسه بشالها.

والى أسفل وفوق الشاطئ لشعل عود ثقاب، فأدرك كينو خلال الضوء اللعظي الكبريت أن رجلين من الثلاثة رجال كانوا نائمين وكاتا متكورين مثل كلبين بينما الشخص الثالث كان مكثفا بالحراسة وشاهد كينو لمعان البندقية تحت ضوء عود الكبريت. ثم انطفأ عود الكبريت ولكنه ترك صورة منطبعة فوق عيني كينو.. كان بمقدوره مشاهدة تلك الصورة: الحانة التي كان عليها كل رجل.. اثنان نائمان متكوران والثالث قابع القرفصاء على الزمالة والبندقية بين ركبتيه.

وتحرك كينو للوراء فى بطاء إلى داخل الكهف وكانت عينا جوانا شرارئين تعكسان نجمة ملخفضة. فزحف كينو بسرعة متكربا منها ووضع شفتيه بالقرب من خدها.

وقال: «أوجد طريقة.. لوجد وسيلة»

— «ولكنهم سوف يقتلونك».

فقال كينو: إذا وصلت أولا إلى الرجل الذى يمسك بالبندقية فإننى سأكون على مايرام. حيث يوجد شخصان نائمان..

فزعفت يدها من تحت ثالبها وأمسكت بذراعه .

وقالت : «إنهم سيفأخذون ملايسك البيضاء تحت ضوء
النجوم» .

فقال : «لا .. ويجب على أن أذهب قبل طلوع الفجر» .

ويحدث في ذهفه عن كلمة حلوة ولكنه غير رأيه . وقال : «إننا
تمكنا من قتلى . استأقنى فى هدوء إلى أن ينصرفوا بعيدا عن هذا
المكان ثم انهبى بعد ذلك إلى نوريتو» .

ولم تكدت يدها قليلا وهى تمسك بمعصمه . وقال لها :
«لا يوجد أمامى أى بديل آخر . فهى الوسيلة الوحيدة . لأنهم
سيملكون علينا فى الصباح» .

وارتعد صوتها بعض الشيء وهى تقول له : «الله
معنا» .

فنظر محمقا عن كلب إليها وتمكن من مشاهدة عينيها
الواسعتين . وتحسست يده فى تخطيط وعثرت على لطلق الرصيع

واستشرت راحة يده للحظات قليلة فوق رأس كويوتينو ، ثم رفع كيدر يده عن الطفل ولمس بها خد جوانا ، فكتمت جوانا أنفاسها .

وفي مواجهة صفحة السماء وفي مدخل الكهف أدركت جوانا أن كيدر كان يقوم بخلع ملابسه البيضاء فرغم أنها كانت ممزقة وبالية وقذرة إلا أنها كانت ستظهر بوضوح على صفحة الليل السوداء ، أما بشرته البنية فكانت بمثابة أفضل حماية له ، وبعدئذ أدركت كيف أنه قد ربط حيط الرقبة الخاص بالتعويذة بالمقبض الثقني لسكبه الكبيرة ، حتى أنها كانت تتدلى لأسفل أمامه وبذلك أصبحت كلتا يديه شاغرتين . ولم يرجع إليها ، كان جسده أسود للحظات في مدخل الكهف وجائعا وصامتا وبعدئذ اختفى .

وتحركت جوانا إلى المدخل ونظرت إلى الخارج ، وراحت تعمق وتعمق النظر من ذلك اللقب بالجبل مثل البومة ، وكان الطفل نائما تحت البطانية فوق ظهرها وكان وجهه متخذا زاوية جانبية مابين رقبته وكتفها . وكانت تشعر بأنفاسه الدافئة تمر على بشرتها وراحت جوانا تهتم بصلواتها الممزوجة بالسحر والشعوذة :

ليكن السلام لك يا مريم بالإضافة إلى الشفاعات الموعنة في القلم
والخاصة بها.. وتوجيه كل ذلك ضد الأشياء السوداء للإنسانية.

وبدا الليل كأنه أقل ظلاما عندما نظرت إلى الخارج وإلى جهة
الشرق كان هناك برق في السماء في مساحة منخفضة قريبة من
الأفق ومن نفس المكان الذي سيزعج منه القمر. وعندما ركزت
بصرها إلى أسفل شاهدت ضوء سيجارة الرجل المكلف بالحراسة
والعراقية.

ونقدم كينو تدريجيا مثل سحابة بطيئة هابطا على التكف
للصخري الناعم. وكان قد أثار خطب الرقية لكي تذلي السكينة
للهدئة إلى أسفل من فوق ظهره. ولكن لاتصلهم بالصخور
وتحدث أصواتا، وأمسك بأصابعه المعتدة صخور الجبل.. ووجدت
أصابع قدميه العازبتين للعين من خلال التلامس، وحتى صدره
كان يستند على الصخور لكي لا يزلزل. لأن أي صوت: أي زلطة
مستحرجة لو أي تهيدة أو أي انزلاق خفيف للحم على الصخر قد
تثير انتباه المراقبين أسفله. وأي صوت غير متوافق مع همس الليل
سيجعلهم في غاية لليقظة والحذر.

إلا أن تلك الليلة لم تكن صامتة: إذ كانت صفادع الأشجار الصغيرة التي تعيش بالقرب من جدول الماء تنفق مثل العليور، كما أن للرئيس المعدنى العالى لجشرات السيكانا كان يعلأ الشق الجبلى، والموسيقى الخاصة يكيلو كانت تدور فى داخل رأسه.. أما موسيقى العذو فكانت منخفضة وناضية ونائمة تقريبا.

ولكن أغنية العائلة كانت قد أصبحت متوحشة وحادة وغادرة وماكرة مثل زمهرة أنثى عيولن الكوجر.. كانت أغنية للعائلة مخدقة الآن بالحيوية وتنفعه للانفضاض على العذو الأسود. وبدأ على جشرات السيكانا ذات الصوت المزعج أنها منهمكة فى الأغنية الخاصة بها، وأن صفادع الأشجار قد رددت بعض فقرات من تلك الأغنية.

وزحف كيلو فى صمت شديد مثل الظلال نازلا على الوجه الناعم للجبل. تحركت قدم واحدة عارية بوصات قليلة فلمست أصابع القدم للجارية وتشبثت بها بشدة.. وتحركت القدم الأخرى بوصات قليلة، ثم تحركت راحة إحدى اليدين قليلا لأسفل.. ثم تحركت اليد الأخرى إلى أن تحرك الجسد بأكمله بدون أن يبدو

عليه أنه يتحرك. وكان فم كينو مفتوحا لكي لا يحدث شبيهه
وزفيره أي صوت، لأنه كان يعرف أن جسده يمكن أن يشاهد إذا
صدرت عنه أي حركة. فانا استشعر المراقب حركة ما ونظر نحو
المكان الدكن الملاصق للصخر، والذي هو بمثابة جسد كينو، فانه
يمكن أن يشاهده بسهولة. ولذلك كان الأمر ينحتم على كينو أن
يتحرك ببطء شديد لكي لا يجذب انتباه المراقب. واستغرق وقتا
طويلا. وأخيرا وصل إلى القاع وجثم وراء شجرة نخيل قصيرة
لثغاية. كان قلبه يدق كالرعد في صدره وكانت يده ووجهه
مبللين بالعرق. وجثم وأخذ أنفاسا طويلة بطيئة كبيرة ليهدي من
نفسه.

لم يكن يفصله عن العدو سوى عشرين قدما في تلك اللحظة..
وحاول أن يتذكر طبيعة الأرض بينه وبين العدو. هل كان هناك
أي حجر قد يعرفه أثناء انقضاضه؟ وراح بذلك ساقيه لكي
لا تحدث بها تقلصات عضلية، واكتشف أن عضلاته كانت ترتعش
بسبب تعرضها للحرارة لفترة طويلة. وبعدئذ ألقى نظرة مثيرة
بالخوف والقلق ونوقم للشر إلى جهة الشرق. إذ أصبح من المتوقع

لأن يظهر القمر في خلال دقائق قليلة ، ولذلك ينبغي عليه البدء في الهجوم قبل طلوع القمر.

كان يعتقد أنه مشاهدة الخطوط الخارجية للشخص الحارس الذي يرقب الموقف ، ولكن الرجلين الآخرين الداعمين كانا تحت الأشياء المرئية بالنسبة له . وكان الحارس هو الشخص الذي ينبغي على كينو أن يلاحقه ويقضى عليه بسرعة كبيرة وبدون تردد . وفي صمت جذب خيط التعويذة على كتفه وفك الأنشطة من المقبض الذي يشبه للقرن وللخاص بسكينه الكبير.

إلا أنه تأخر أكثر من اللازم لأنه بينما كان ينهض من الوضع المنحني الرابض الذي كان عليه انزلت الحافة الفضية للقمر فوق الأفق الشرقي فهبط كينو منراجعا خلف الشجيرة التي كان يستتر خلفها ..

كان قمر أشعنا وعجوزاء إلا أنه ألقى بضوء خال من الضعف كما ألقى بظلال قرية على القمر المشقوق بالجبل . وعندما أصبح يعتقد كينو مشاهدة الهيكل الجالس للشخص الحارس فوق الشاطئ

الصغير بجوار الدبكة. وحمل الحارس طويلا في القمير ثم لشعل
سيجارة اخرى وأضاء عود القلاب الوجه لداكن الحارس للحطبات.
وهنا لم يعد هناك مجال للانتظار.. وينبغي على كيدو أن بهجم
قافزا عندما يدير الحارس رأسه. وكانت سافاء مشدودتين مثل
الزئيرك المنقوف.

وهنا تراسى من أعلى صرخة متعومة صغيرة.. فأدار الحارس
رأسه ليصغي ثم نهض واقفا وتحرك واحد من الشخصين التائمين
على الأرض ولم يسيظ وتساءل في هدوء: «ما هذا الصوت؟».

فقال الحارس: «لاأرى». واستطرد: «أنه يشبه صوت
الصبيحة.. يكاد يشبه صبيحة آدمية.. بكلا يشبه صوت طفل
رضيع».

وقال الرجل الذي كان قائما: «لايمكنك أن تتوصل إلى
حقيقة الأمر. فمعنى أننى القلاب تشكو وتكوجع أثناء الولادة. ولقد
سبق لى أن سمعت نكيا صغيرا رضيعا يصيح مثل الطفل الآدمي
الرضيع».

وتزول العرق مخرجاً في فمات من جهة كينو وسقط في
عينيه وأحرقهما. وصدرت الصرخة الصغيرة مرة أخرى فنظر
الحارس إلى أعلى نحو جانب التل ثم إلى الكهف المظلم.

وقال : « ربما هو ذئب من نوع الغيوط .

وسمع كينو صوت الطقطقة الخشنة وهو يرد البندقية إلى الوراء
استعداداً لإطلاق الرصاص .

ثم قال الحارس وهو يرفع البندقية ويصوبها :

« إذا كان هذا صوت ذئب فإن هذه رصاصة ستسكته .

وكان كينو في منتصف اللقطة الهجومية عندما نوى صوت
البندقية وطبع وميض المأسورة صورة فوق عينيه . فأنطلقت
للسكين الضخمة تضرب وتسحق وتقطع تماماً . إذ ضربت العلق
وتوغلت في أعماق الصدر وأصبح كينو مثل الآلة الرهيبة . ثم
لمسك بالبنادقية بينما كان يجذب سكينه ويلتزعها من جسد
الرجل . كانت قوته وحركاته وسرعته مثل الماكينة الآلية . واستدار
وضرب رأس الرجل الجالس مثلما يضرب بطيخة . ولحق الرجل

الثالث، مخبطا في خريشة مثل الحيوان الصدفى المائى وانزلق إلى
بركة الماء.. ثم بدأ ينسلق في جتون ليصعد إلى المنحدر الصخري
الشاهق حيث تنساب المياه إلى أسفل... وثقبت يده ورجلاه في
الحبات المتشبكة للكرمات البرية وراح يئن ويتوجع ويورطم أثناء
محاويله للنهوض على قدميه.. إلا أن كبتو كان قد أصبح مميدا
ومهلكا وفاقد الاحساس مثل فولاذ سكينه، وفي ثأنى وتروى
شديدتين حرك عقله الهندسية، ثم رفع البندقية وصوب في هدوء
وأطلق النار. وشاهد عدوه وهو يتقلب للخلف ويسقط في البركة.
فصار كبتو يخطوات واسعة إلى الماء. ونحت منوه القمر تمكن من
مشاهدة العيتين الخائفتين في جتون. وصوب كبتو البندقية وأطلق
للرصاصة بين العيتين.

وبعد ذلك وقف كبتو وقد انتابته بعض الشكوك الغامضة. كان
هناك شئ غامض كانت هناك إشارة ما يحاول التفاد إلى ذهنه.
وكانت صفادع الأشجار وحشرات السيكادا قد للزمت بالصمت
المطلق عقب الأحداث الدامية. وبعد ذلك تخلص ذهن كبتو من
التركيزات الحمراء الخاصة به فحرف للصوت. الصرخة المأدبة في

عويل المليحة بالأنين المتصاعدة في هسيري الجذون من انكف
الصغير عند جانب لجبل الصخري - صرخة الموت .

أن كل شخص في الأجازة يتذكر عودة العائلة .. ربما كان
هناك بعض الأشخاص العجائز الذين شاهدوا بأنفسهم عودة
الأسرة ولكن أولئك الذين سمعوا القصة من آبائهم ومن أجدانهم
يتذكرونها على الرغم من أنهم لم يشهدها بأنفسهم . فهي حدث
هام قد وقع لكل شخص .

وفي وقت متأخر من فترة ما بعد الظهر الذهبية جرت أول
مجموعة من الأطفال الصغار في جنون هسيري إلى داخل
المدينة وبدوا أنهم يفقدون أن يكونوا يشقان طريقهما عائدين .
فسارع كل فرد لمشاهدتهما . وكانت الشمس تهبط تدريجياً تجاه
الجهل الغربية وكانت للظلال على الأرض طويلاً . وربما كان ذلك
هو الذي ترك انطبعا عميقاً على أولئك الذين شاهدوها .

نقد وصل الاثنان من الطريق الريفي المليء بالأخاديد إلى
المدينة . وكانا لا يسيران في طهوز واحد . كان كيتو في المقدمة

وجوانا خلقه كالعداد ولكن جدبا إلى جلبه، كانت الشمس خلفهما، وكانت ظلّاهما الطويلة تمشي في بقاء أمامهما وقد بدا عليهما أنهما بحملان معهما أسرار الظلام. كان كينوي يعمل بتدقية على نراعيه.. وكانت جوانا تحمل شالها مثل سترة فوق كتفها. وفي داخل الصدر كانت توجد صرة ثقيلة لينة صغيرة. وكان اللؤلؤ مكسوا بفترة من الدماء الجافة وكانت الصرة تتمايل قليلا أثناء سيرها. كان وجهها جامدا ومضنبا وشيها بالجد المدبوغ بسبب التعب والأجهد الشديد، وسبب التوتر الشديد الذي حاربت به التعب.. وكانت عيناها الواسعتان تحمقان إلى الداخل وتنعكسان على نظمها. كانت بعيدة ومنعزلة مثل السماء..

وكانت شقنا كينو هزموئين وفكاه مشدودين في احكام، ويقول الناس أنه كان يعمل الخوف معه، وأنه كان في مثل خطوة للعاصفة المتصاعدة. ويقول الناس أنه قد بدا عليهما وكأنهما قد انتزعا من التجربة الانسانية.. وأنها قد اجتازا تجربة الآلام وبزغا إلى الجانب الآخر، وأنه كانت هناك حمالة من السحر تكثفهما تقريبا. وأولئك الناس الذين اندفعوا وتذافعوا لالتقاء نظرة عليهما قد

تراجعوا متدافعين في زحام إلى الوراء وتركوهما يمران ولم يتكلموا
معهما.

سار كينو وجوانا عبر المدينة كما لو كانت المدينة غير موجودة
هناك.

كانت عيونهما تلقى نظرات خاطفة لا إلى اليمين ولا إلى
اليسار ولا إلى أعلى ولا إلى أسفل.. وإنما تم العتبة في خط
مستقيم للأمام.

كانت سيقانها تتحرك في اهتزاز بعض الشيء مثل للدميات
الخشبية للعتبة الصلبة. وكانا يعملان أعمدة من الخوف الأسود
فيما حولهما.

وبينما كانا يسيران عبر مدينة الأحجار والحجر كان التجار
والوسطاء والسامرة يعملون فيهما من وراء النوافذ تحت القنابل
الحديدية وكان الخدم ينظرون بعين واحدة من الجوانب المفتوحة
فتحة ضيقة. وكانت النساء تدبر أوجه أطفالهن الصغار إلى
الدخل.

وسار كينو وجوانا بخطوات واسعة عبر مدينة الحجارة والجبس،
ومنها إلى المنازل المشيدة من أغصان الأشجار. وكان الجيران
يلتجعون إلى اللوراء ويدعونهما بمران، ورفع جوان توماس يده
تحية لهما ولكنه لم ينطق بالتحية وترك يده معلقة في الهواء في
غير يقين للحظات.

وفي كينو كانت أغنية العائلة متوحشة مثل الصرخة. كان كينو
منهما وحسينا ورهيبا وكانت أغنيته قد أصبحت صراخ معركة.

وسارا في إرهاق وتعب واجهان إلى مابعد المربع المحترق الذي
كان يوجد عليه منزلهما بدون أن يلتفيا ولو نظرة واحدة على ذلك
المكان. وأزاحا الشجيرات الصغيرة التي تعقب ثم سارا في حذر
واحتراس في الماء. ولم ينظروا نحو زورق كينو المكسور.

وعندما وصلا إلى حافة الماء توقفوا عن السير وحملقا للأمام
فوق الخليج. ثم وضع كينو البطيخة على الأرض ونوغل بين
طيات ملبسه وبعدئذ أمسك باللويزة العظيمة في يده.

وأنعم النظر في سطح اللؤلؤة وكان سطحها رماديا ومفترجا.
كانت هناك وجوه شريفة تطل من اللؤلؤة وتنظر في عيني كيتو
وشاهد كيتو ضوء الاحتراق.

وفي سطح اللؤلؤة شاهد كيتو العينين المسعورتين للرجل في
البركة. وفي سطح اللؤلؤة شاهد كيتو لبد كويونيدو مستلقيا في
الكهف الصغير وقد أطلحت الرصاصة بالجزء العلوي من رأسه.

وبدت اللؤلؤة قبيحة أمامه.. بدت رمانجية ومثل خراج معيت.
وسمع كيتو موسيقى اللؤلؤة مشوهة ومجنونة. واهتزت يد كيتو
بعض الشيء والخفت في بطاء إلى جوارها وعرض عليها اللؤلؤة.
فوقفت إلى جوارها وهي مازالت معسكة بالصرخة الميئة فوق كتفها.
ونظرت إلى اللؤلؤة المعروضة في يده للمعطات ثم نظرت بعمق
في عيني كيتو وقالت في نعومة: «لا.. أنت».

وهنا طرح كيتو ذراعه للخلف وألقى باللؤلؤة بكل مألديه من
قوة. وشاهد كيتو وجوانا للؤلؤة وهي تنطلق في الهواء وتتغامز

وتلتمع وتسطع وتتلاأأ تحت ضوء الشمس الغاربة . ووقفنا جنبا إلى جنب يرفهان المكان الذي لحاصت فيه لفكرة طويلة .

وترسبت اللؤلؤة تدريجيا في المياه الخضراء الحبيبية وسقطت تجاه القاع . وتنادت عليها الأغصان الملوحة للطحالب المائية ، وأومات إليها وأشارت إليها ، ووجهت الدعوة لها . . وكانت الأنوار فوق سطوحها خضراء ومحببة للنفس . واستقرت اللؤلؤة فوق القاع الرملي بين النباتات الشبيهة بذبات السرخس ، وفوق صفحة الماء كان السطح بملاحة مرآة خضراء . وكانت اللؤلؤة . ترفد فوق قاع البحر . وجاء سرطان بحر وراح يعض ويجري ويهزول فوق القاع فأثار سحابة صغيرة من الرمال وعندما هدأت السحابة توارت اللؤلؤة واختفت .

وانجرفت موسيقى اللؤلؤة إلى مجرد همس واختفت نهائيا .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

اللولؤه

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٨/٩٨٢٨

I.S.B.N. 977-01-5842-9

